

# وحي الأربعين

عباس محمود العقاد



# وحي الأربعين



# وحي الأربعين

تأليف

عباس محمود العقاد

# المحتويات

٧	مقدمة
١١	تأملات في الحياة
٢٥	خواطر في شئون الناس
٣٣	قصص وأماثل
٤٥	وصف وتصوير
٥١	غزل ومناجاة
٦٩	قوميات واجتماعيات
٧٥	فكاهة
٨١	متفرقات



## مقدمة

### الشعر العصري

تناول بعضهم ديواناً من الشعر، فقال: هذا شعر عصري! هذا ديوان خلا من باب المدح وباب الهجاء، فهو شعر جديد وليس بشعر قديم.

ذلك مثل من أمثلة التقليد في إنكار التقليد، فالشعر لا يكون عصرياً مبتكراً لأنه خلا من المدح ولا يكون قديماً محكياً لأنه يشمل عليه، وإنما يخرج «المدح» من الشعر لأنه كلام يضطر الناظم إليه اضطراراً ولا يعبر فيه عن عقيدة صادقة أو عاطفة صحيحة، ولولا الحاجة إلى نوال الممدوح لما نظمه ولا أجاله في خاطره، فمن هنا كان المدح كلاماً لا شعر فيه ولا دلالة على شعور، أما المادح الذي يقول ما يعتقد أو يحس أو يتمثل أو يتخيل فلا فرق بينه وبين شاعر الوصف والغزل والحماسة من حيث القدرة الشاعرة، ولا سيما إذا هو أثنى بما يوجب الثناء في رأيه وضميره.

ولنضرب لذلك مثلاً من التصوير بالريشة، وهو كالشعر، أحد الفنون الجميلة التي يقع فيها الابتكار والتقليد، فلا نعرف ناقداً يزعم أن المصور الذي يرسم رجلاً من أجل ثمن مقدور لا يُعدُّ من المصورين «العصريين»؛ إذ كل ما يُطلب منه هنا أن يجيد نقل الشَّبه والدلالة على الملامح والأطوار النفسية، فإن أجاد في عمله هذا فهو مصور كأحسن المصورين، وإن لم يُجد فليس بمصور وإن كان يرسم الأشخاص متبرعاً غير مأجور، أو كان يشغل نفسه بمناظر الطبيعة وما شابهها من الموضوعات التي تقابل الوصف والغزل في القصائد. وكذلك المدح في دلالته، على الشاعرية أو في انتظامه بين أبواب الشعر الصحيحة، فإنما يُعاب بيع الثناء من وجهة الخُلق والعُرف لا من وجهة الفن والتعبير،

أما الذين «يقلدون» في إنكار القديم فقد اختلط عليهم الأمر؛ فحسبوا المدح منفياً من عالم الشعر لذاته لا لما قدمناه.

وقرأ بعضهم قصيدة في وصف الصحراء والإبل، فأنكر أن تكون من المذهب الجديد وعدّها باباً من الشعر لا يجوز أن يطرقه العصريون!

ذلك مثل آخر من أمثلة التقليد في إنكار التقليد؛ لأن وصف الصحراء والإبل إنما يُحسب تقليدياً لا ابتكار فيه إذا نظمه الناظم مجازة للأقدمين واقتياساً على الدواوين، أما الرجل الذي يعيش في الصحراء أو على مقربة منها، ويركب الإبل وتجيئ نفسه بالشعر والتخيل عند ركوبها ورؤيتها فليس بشاعر إن لم ينظم في هذا المعنى مخافة الاتهام بالتقليد أو جرياً على رأي الآخرين.

إذ هذا هو التقليد بعينه في التصور واختيار الموضوعات، وما المقلد إلا من ينسى شعوره ويأخذ برأي الآخرين على غير بصيرة أو بغير نظر إلى دليل.

فهناك إذن «مقلدون» في كراهة التقليد لا يدركون لماذا يستحسنون ولماذا يستهجنون، وربما كان هؤلاء أضرم بالمذاهب الجديدة من معشر الجامدين على المذهب القديم.

إن من أراد أن يحصر الشعر في تعريف محدود لکمن يريد أن يحصر الحياة نفسها في تعريف محدود، فالشاعر لا ينبغي أن يتقيد إلا بمطلب واحد يطوي فيه جميع المطالب، وهو «التعبير الجميل عن الشعور الصادق»، وكل ما دخل في هذا الباب — باب التعبير الجميل عن الشعور الصادق — فهو شعر وإن كان مديحاً أو هجاءً أو وصفاً للإبل والأطلال، وكل ما خرج عن هذا الباب فليس بشعر وإن كان قصة أو وصف طبيعة أو مخترع حديث.

كذلك يبلغ من ضيق الوعي وركود النفس ببعض النقاد أن يحصروا كل باب من أبواب الشعر في نمط لا يعدوه ولا هم يتخيلون غيره، فيقولون مثلاً: إن الغزل لن يكون إلا هكذا وإلا فليس هو بغزل، وإن الوصف لا بد أن يجري هذا المجرى وإلا فليس هو بوصف، ويحسبون أن النفوس لا تحس إلا على وتيرة واحدة ولا تعبر إلا على أسلوب واحد، فإذا سمعوا غزلاً فينبغي عندهم أن يكون على مثال الأغاني التي يسمعونها العامة في المراقص والأندية، أو على مثال يشبهه وينحو نحوه! وقس على هذا مذهبهم في سائر الأبواب: من أحب البحري فليكن الوصف عنده بحرياً، ولا وصف على الإطلاق! ومن ألف حكمة المنتبى فلينظم الناس له أبياتاً على طرازها أو لا ينظموا على أي طراز! ومن عرف

أن «الاجتماعيات» مجال محمود في بعض الدواوين فحرام على الدواوين كلها أن تتسع لغير الاجتماعيات! ومن ظن أن الملاحم الكبيرة أثرت على كبار الشعراء، فالشاعر الذي لا ملحة له ليس بشاعر كبير!

لقد سميت إحدى قصائد هذا الديوان «بالغزل الفلسفي» تحدياً لهذا الضيق السقيم والحجر العقيم، فقد أضحكني بعضهم حين سألني متباصراً: وهل الغزل الفلسفي مما يصلح لاستهواء الحبيب؟ فقلت له: ومن الذي زعم أننا لا نتغزل إلا لاستهواء الأعباء؟ إنك حين تناجي القمر لا تعني أن تستهويه أو تخاطبه بما هو أدنى إلى إدراكه، وإنك حين تحكي شعورك بالرياض والأزهار لا تفقه عنك الرياض والأزهار حرقاً مما تحكيه، ولكنك تناجي وتحكي وتتغزل لأنك تعبر عما في نفسك قبل كل شيء، فالغزل تعبير عما تشعر به حين ترى الوجه الجميل والخلق القويم، وإذا كانت بعض القرائح تستحضر جمال الحياة بأسرها وما تنطوي عليه من الأسرار حين تنظر إلى الوجوه الجميلة، فلماذا يحرم عليها أن تمثل هذا الشعور؟ وإذا كانت بعض الطبائع تقرن بين الجمال وما تستحقه الدنيا من التفاؤل والتشاؤم وما يغمرها من الخير أو الشر، فلماذا يُحال بينها وبين التعبير؟ لأن الجمال لا يقع في معظم النفوس إلا موقع الغناء في المراقص يحتم على الشعراء أن يغرقوا في المراقص طوال الحياة؟

إن ضيق نطاق الحياة هو الذي يلقي في روع الأعمار هذه الأوهام عن الشعر وأبوابه ومراميه، بل ضيق نطاق الحياة هو الذي يلقي في روعهم أن الشعر جانب والجد جانب آخر وأن هذين الجانبين لا يلتقيان، فبين يدي كلمة للمغامر الإنجليزي لورنس يقول فيها: «إن رجال العمل عندنا ينطوون على جانب من الشعرية بقسطيها من صلاح وصلاح.» وبين يدي كلمة مثلها للحاكم الإيطالي «موسليني» يقول فيها للمؤرخ أميل لدفع: «إن الرجل السياسي ينبغي له أولاً وأخيراً أن يكون صاحب خيال، فإن لم يكنه جف ولم يبلغ قط شيئاً يُكْتَب له الدوام، ولست أقول هذا عن رجل السياسة وحده لأنه ما من إنسان كائنًا ما كان يصل إلى شيء يُذكر بغير الشعرية والخيال.» وقد علمنا كيف أن «هريو» الوزير الفرنسي كان يشتغل بوضع كتابه عن هوغو بين شواغله الجسام التي قلما يضطلع بمثلها وزير، وأمثال هؤلاء كثيرون حيثما يتسع أفق العمل والشعور والإدراك.

فالنظر إلى الدنيا لن يتسع ولن يصح ولن يكمل إلا بخيال كبير يستوعب ما يراه ويقيس ما غاب على ما حضر، وما يمكن على ما أمكن، وما يتمخض عنه المستقبل على ما درج في ألفاف الزمان، وتلك ملكة لا غنى عنها لعامل ولا عالم ولا شاعر ولا قارئ ولا

متعلم، وما دام أناس منا يجهلون مدى اتساع الحياة فلا عجب أن يجهلوا مدى اتساع الشعر، ولا بدع أن يهبط في مراتب الوجود إلى أفق دون أفق المشرفين على رحبه الشاسع الفسيح.

لقد رأينا دواوين لبعض الشعراء يستغرق ما فيها فضاء محدود يُقاس بعشرات الأشبار، فأين بقية آفاق الوجود؟ أين غرائب الإحساس التي تختلف إلى غير نهاية في كل طور من أطوار النفوس؟! إنك لن تستطيع أن تفرضها فرضاً إذا أنت قنعت من الدنيا بما تمثله لنا أشعار الناظمين المحدودين، فلنفهم شأن الخيال في توسيع الدنيا والسيطرة عليها نفهم شأن الشعر الصحيح، ولنفهم شأن الشعر الصحيح نحطم تلك السدود التي يحبسنا فيها أصحاب التعريفات من الجامدين أو المقلدين في كراهة التقليد، ولنذكر أبداً أن «التعبير الجميل عن الشعور الصادق» عالم لا ينحصر في قالب ولا يتقيد بمثال.

عباس محمود العقاد

# تأملات في الحياة

## الخلاصة الأولى والأخيرة

هـ جمالاً وفتنة وضياءً  
كره الأرض حوله والسماء  
جانب ترضيه إلا أساء

صح جسمًا فشاقت الأرض عيني  
صح نفسًا فشاهت الناس حتى  
عجبًا للحياة ما سر فيها

## الهداية

ضلت سواء السبيل  
هديًا بغير دليل؟

كم في السماء نجوم  
وأنت في الأرض تبغي

## سحر الدنيا

سوف يبقى، ويذهب الكهانُ  
ت وفيها الشמוש والأعصانُ؟  
ت وفيها الثغور والأجفانُ؟  
ت وفيها الألحان والألوانُ؟  
ر، وفي كل حقبة ترجمانُ  
م عليها الإنشاد والتبيانُ

سحر دنياك يا أُخَيَّ قديم  
أفيمضي بسحرها كاهن ما  
أفيمضي بسحرها كاهن ما  
أفيمضي بسحرها كاهن ما  
كاهن الأولين أول مسحو  
سحر دنياك دائم حيثما دا

سحر دنياك دائم حيثما دا مت عليها الحياة والإنسان

### مسودات الحياة

تأمل ترى الأحياء عَجْمًا كأنها  
ويا رب سر في كلام «مسود»  
أراها كإخوان تفاوت حظهم  
فمن حائز نُعمى أبيه وأمه  
ومن يلقيهم يلقَ الحياة كأنها  
«مسودة» للخلق لما تُنقَّح  
يعود فيخفى في الكلام المصحح  
وميراثهم من سابقين ورُزَّح  
إلى خاسر رفديهما أو مطرَّح  
حبت طفلة من مهدها المترجح

### جلال الموت

أرى في جلال الموت إن كان صادقًا  
فلا تجعلنَّ الموت حجة كاذب  
جلالة حق لا جلالة باطل  
لمدحة مذموم ورفعة سافل

### المعروف والمنكر

كل ما تصنع الحياة يُرَجَى  
فإذا أنكروا قبيحًا ففي القبر  
من بنيتها قبوله واغتفاره  
شطَّ بالفكر أو تدانى مزاره  
ح من الموت لونه أو شعاره  
ذاك لب اللباب في كل رأي

### رأي واحد في وضعين مختلفين

زعموا الإنسان قردًا  
وأناس يزعمون الـ  
هو رأي واحد نقـ  
قد ترقى وتَحَلَّى  
قرد إنسانًا تدلَّى  
لـبه علوًا وسفلا!



## فلسفة حياة

مسائل الفلسفة الكبرى هي:

- (١) مسألة الإله.
- (٢) مسألة الحياة بعد الموت.
- (٣) مسألة السعادة في الدنيا.
- (٤) مسألة الخير والشر والحلال والحرام.

والقصيدة التالية تنتهي بالقارئ في كل مسألة من هذه المسائل إلى رأي نوجزه هنا ولا نعرض لأسبابه وبراهينه؛ لأنها مما يضيق عنه المقام.

فأما في مسألة الإله، فخلاصة القول أن الإله الموجود في كل مكان كفيل أن يصل إليك إذا أنت لم تصل إليه، وأن يعرف حقيقتك إذا عجزت أنت عن عرفان حقيقته، وفي هذا عزاء لمن رام العزاء.

وأما في مسألة الحياة بعد الموت، فخلاصة القول أن خيال الإنسان لن يحيط وصف تلك الحياة، أو لن يصل في شأنها إلى وصف يستقر عليه، فهو لا يرضى أن تكون الحياة الأخرى كهذه الحياة الدنيا؛ لأنه يطمح أبدًا إلى كمال بعد نقص وغبطة بعد ألم، وهو لا يرضى أن تكون الحياة الأخرى مبدلة مستحيلة؛ لأنه متى تغير شعوره وتبدلت مداركه ومقاييس نظره أصبح مخلوقًا آخر، وأصبح النعيم الذي يرجوه كأنما هو نعيم مكتوب لإنسان سواه ... فهو يحب أن يغير حياته ولا يحب أن يغيرها في وقت واحد! ... والخروج من هذه الحيرة لن يكون إلا على حالة فوق ما يعقل وفوق ما يتخيل.

وأما مسألة السعادة، فالرأي في القصيدة أن ترك الدنيا كما يتركها عباد الهند خطأ، وأن التهاك عليها كما يتهاك عباد الحضارة خطأ كذلك، وأيًا كان الحرمان الذي يُمنى به الإنسان فيشقيه، ففي الدنيا ولا ريب نعم جزيلة لم يُحرَمها قط إنسان يحبها ويشتاقتها، وتلك هي محاسن الطبيعة والإعجاب بالجمال حيث كان.

وأما مسألة الخير والشر والحلال والحرام، فالرأي في القصيدة أنه لا حرام في الجمال ولا حلال في القبح، فالفعل القبيح هو الفعل الحرام، ومن تجنب أن يشوّه جميلًا أو ينقص كاملًا فهو في حل من أن يصنع ما يشاء:

الغرام الملك، والملك الضياعُ	هاتِ لي الحُسْنَ الذي ليس يضيعُ
ليلة قمرء، أو سحر سماعُ	أو قصيدًا راق، أو زهر ربيعُ
قال قوم زينة الدنيا خداعُ	قلت: حَيْرُ! بالذي نَشْرِي نبيعُ

\* \* \*

زاهد الهند نعى الدنيا وصامُ	أنا أنعاهها ولكن لا أصومُ!
طامع الغرب رعى الدنيا وهامُ	أنا أرعاهها، ولكن لا أهيمُ
بين هذين لنا حدُّ قوامُ	وليلمُّ من كل حزب من يلومُ

\* \* \*

## تأملات في الحياة

أيها السائل: ما بعد الممات؟  
ما وراء القبر في قول الثقات  
لست بالراضي حياة كالحياة  
يَمُّ الصحراء وانظر قفرها  
حالة تحمد يوماً سرها  
لا ولا ترضى حياةً غيرها

\* \* \*

يعبد الأتوم ما يخشونه  
ليس ينسى الله من ينسونه  
إن وصلتُم أو وقفتُم دونهُ  
وأنا أعبد ما لست أخاف  
فعلامَ البحثُ فيه والخلافُ!  
لم يقف دون مقامٍ أو مطافُ

\* \* \*

شرعك الحسن فما لا يحسنُ  
ليس في الحقِّ أثمٌ بيِّنُ  
ما عدا هذين مما يمكنُ  
فهو لا يحلو، وإن حلَّ الحرامُ  
غير مسخِ الحُسنِ أو نقص التمامِ  
فاستبحه، وعلى الدنيا السلامُ

## الحظان

قسِّم حياتك بين حُسنِ بارع  
ما في سوى الحظِّين من أمنيَّة  
يُذكي الحياة، وحكمة تُنميها  
للمرءِ يَنشدها ويستبقيها

## إنذار الغضب إلى الحق المحتجب

يا حقُّ لا تبرحُ خيائكُ  
فيمَ الإياء؟ ولم نكن  
فالزم مكانك في الثرى  
ما الروضة الغنَّاء ذا  
والناس لا يجفوننا  
والحسن عند المبطلين  
ما فاز من يرجو رجاء  
أتعبتنا سعيًا وراءك  
يا حقُّ إلا أصدقاءك  
إن شئت، أو فالزم سماءك  
بله إذا حُرمت ضيائك  
يوماً، إذا علموا جفائك  
ن، وعند من يهوى عداك  
لك في الحياة ولا نساءك

أنا إن سلوتك لم أكد  
يا حقُّ هذا حدُّنا  
أشتاق ما يغني غناءك  
فاختر ظهورك أو خفاءك  
إن جئتنا طوعًا فجئ  
أو لا فلا تبرح خباءك!

### رعونة الحياة

فيمَ اقتحامُ جنين واهن عطل  
هي الرعونةُ في طبعِ الحياةِ ثوتُ  
أرضًا أبوه بها حيرانُ مهمومُ  
وإنما حكمةُ الأقسامِ تعليمُ

### حكمة جهل الأطفال!

تجمّع في إهاب الطف  
ليطرق بابها طوعًا  
ل كلُّ غرارة الدنيا  
لو أنّ لمثله رأيا  
ولا عزمًا ولا وعيا  
لأمر ما دخلناها

### كلنا شجعان

ما شجاعٌ وجبانُ؟  
كل مولود تراه  
نحن شجعان جميعًا!  
أولم يطرق جنينًا  
جاءه فردًا ولم ير  
داهم الحصن المنيعا  
عسكر الكون الوسيعا؟  
جع كما جاء سريعا

## حكمة التوائم

حكيم ذلك التوأمُ      ومن آبائه أحزَمُ  
تهيبُ أرضهم فردًا      فجاء بصاحب مُلزمٍ!  
ولو جاء بجيش كا      نَ في تدبيره أحكمُ!

## حب الدنيا، معجزة خارقة

هل هذه الدنيا جميلة والأوامر الإلهية هي التي تنهانا أن نسعد بجمالها ونفرغ لمحبتها؟  
أو هي دميمة والقدرة الإلهية هي التي تحببها إلينا وترغبنا فيها؟  
الجواب في القصيدة التالية أنه لا قدرة — دون قدرة المعجزات والخوارق —  
تستطيع أن تحبب هذه الدنيا إلى الناس، على ما بها من الآفات والأرجاس!

قالوا الدنيا الحسناء سها      عنها ربُّ لا يقبلُها  
بل قالوا: يحجبها عنَّا،      أو ينهاها، أو يعقلُها  
ونرى الشيطانَ يزيئُها      ونرى الشيطانَ يدلُّها  
يا قوم ألا عينٌ نظرتُ      هذي الشوهاء تمتلُّها؟  
ما يقدر إلا رب الكو      ن يحببها ويجمِّلُها  
لولاة قتلنا أنفسنا      أو لم نعذل من يقتلُها  
أفهذي دنيا نعشقها      لولا رضوان يكفلُها؟  
من شكَّ فهذي قدرتهُ      فليعرفها من يجهلُها!

## الحياة والتفكير

ما لي أفكّر في الحياة ولا أرى      شيئًا يقرُّ بها على التفكير؟!  
إنِّي مضيت بها انقطعتُ كأنني      شجر على الدنيا بغير جذورٍ

## خذ من الحياة

الموت طرّاق على الـ  
الموت أَخَاز فَخُذْ  
أبواب، عافٍ<sup>١</sup> كالعفاة  
ما تستطيع من الحياة

## أم شحيحة

لكل شيء ثمنٌ  
يا شحّ دنيا لم تجدْ  
لا تُرْضِعِ الأبناءَ إلّا  
وبالربا مُضَاعَفًا  
قد زعموا من الألم  
إلا تولّاهم الندمُ  
بدواةٍ وقلمٍ  
غولط في كلِّ رقمٍ!

## على بحر الحياة

أمن نظرة الأباد والمثّل الأعلى  
لقد كانت الأجيالُ عندي قريبةً  
نظرتُ إلى عليا الحياة أُرودها  
فأليتُ أقضيها كمن راح طافياً  
فإن شئتُ قل هذا غريقٌ وإن تشأْ  
إلى اليوم بعدَ اليومِ والنظرة العُجلى؟  
فقد عادتِ الساعاتُ تُوسعُني ثقلاً  
فألفيتها صفرًا، ولم أحمِدِ السُفلى  
على اليمِّ، لم يضرب يدًا فيه أو رجلاً  
فقل سايحٌ لم يُدرَ أقبل أم ولى

## نقمة في نعمة

نعمة الإحساس ما برحتُ  
لا يُحسُّ الفقْدَ فاقْدُها  
نعمة في طيها نِقَمُ  
ونصيب الواجدِ الألمُ

<sup>١</sup> العافي طالب الفضل أو الرزق.

## بنية قوية

تعاقَبَ السُّوسَ والجرادَ وما  
فلا تَخَفُ آفَةً ولا غَيْرًا  
دُنْيَاكَ هذِي قَوِيَّةٌ صَمَدَتْ  
بَادَ رَبِيعٍ ولا انطوى شَجَرٌ  
يُمْنَى بها في الضمائرِ البَشَرُ  
لكلِّ شَرٍّ جرى به القَدَرُ

## ما فوق الحياة

يا طالبًا فوق الحياةِ مَدَى له  
ما في خيالك صورة تشتاقتها  
ولو استويتِ على الخلودِ وجدتها  
يعلو عليها هل بلغتَ مداها؟  
إلا وَحَوْلِكَ لو نظرتَ تراها  
كفؤًا لعينك لا تروم سواها

## سر أبي الهول

أَكْرهُونَا على هَوَاكَ وقالوا  
إن يَكُنْ فيكَ يا أبا الهَوْلِ سرٌّ  
من دعانا إلى هَوَاكَ؟ أَجِبْنِي  
أَنْتَ يا عالمَ الشَّقَاءِ حَبِيبُ  
فهو هذا الهوى الخَفِيُّ العَجِيبُ  
نحنُ أم أَنْتَ أم سَمِيعٌ مُجِيبُ؟

## زَمِيلانِ في البيتِ، عَدُوَّانِ في الطريقِ

لا حينَ كانوا مؤمنين تَقَيَّدُوا  
الطبعَ والإيمانَ إن سَكنا مَعًا  
بِهُدًى، ولا حينَ استرابُوا في الهُدَى  
ركبا الطريقَ هنيهةً فتَفَرَّدَا

على الشاطئ

وَرَدُّوا الْبَحْرَ فَأَهْلًا      بِهِمْ — يَا بَحْرُ — أَهْلًا  
أَنْتَ لَا تَحْفَلُ مِنْهُمْ      مِنْ وَلى أَوْ مِنْ تَوَلَّى

\* \* \*

نَزَلُوا شَطْرَكَ غَيْدًا      وَشَبَابًا وَمَشِيبًا  
طَلَبُوا فِي الْمَاءِ بَرْدًا      فَذَكَا الْمَاءُ لَهِيبًا

\* \* \*

وَرَدُّوا الْبَحْرَ عِطَاشًا      رَشَفُوهُ غَرْفُوهُ!  
لَوْ يَكُونُ الْبَحْرُ بَحْرًا      مِنْ سُرُورٍ نَزْفُوهُ  
الْمَسَاكِينُ يَرِيدُوا      نَ مِنْ الدُّنْيَا اتَّسَاعًا  
أَخْدَعُوهَا، فَهِيَ لَا تَو      سِعُكُمْ إِلَّا خِدَاعًا

\* \* \*

وَإِذَا لَاحَتْ بِوَجْهِهِ      يَمْلَأُ الْأَبْصَارَ رُعبًا  
فَاضْحَكُوا مِنْهَا وَقَوْلُوا      مَا أُحْيَلِي! مَا أَحْبَاب!

\* \* \*

وَإِذَا مَدَّتْ إِلَيْكُمْ      بِيَدِ فِيهَا الْجِمَامُ  
فَخَذُوا الْمَوْتَ وَقَوْلُوا      هُوَ خُلْدٌ وَسَلَامُ!

نصف رغيـف

عجبي للحياة أشرف ما تحـ      يوه وقف على الحقيـر الطفيـف  
صفحات السماء والأرض طرأ      والمعاني من تالـد وطرـيف  
والوجه التي تشوقك حسناً      تنطوي إن فقدت نصف رغيـف

## لا ضيف في الخان

إيه يا دنيا! لو اسطعتِ سماعي  
أكرميننا حيثما تدعيننا!  
قالت الدنيا: ولم أكرمكم؟!  
حبذا الخان! فلا ضيف هنا  
قد نزلنا منك في غير اتساع  
أو دعينا من لقاء ووداع  
كلنا في الحق مدعو وداع  
إنما تجزى متاعاً بمتاع

## في جانب الهرم

دعا به هاتف من جانب الهرم  
تمل ما شئت من سُخْفٍ ومن عِظَم!  
ما خلد الدهر شيئاً قط نعلمه  
بين الظلامين من ليل ومن قدم  
هنا النقى السُخْفُ في التاريخ بالعِظَم  
إلاً وفيه من الأنوار والظلم

## طفل على البحر

عداً على البحرِ جذلاً فقلت له:  
فقال في لثغة الطفل البريء وفي  
يا حبذا البحرُ في عُمق وفي سعة  
كذلك الناس في بحر الحياة لهم  
لا تُلقي بالألى ما ينطقون به  
هل قصر البحر أو أربي على الأمل  
صراحة الطفل قولاً بين الخطل  
لو كان من سُكَّرٍ أو كان من عسل!  
سُخْفٌ من القول في صدق من العمل  
وانظر إلى ما تولاهم من الجدل<sup>٢</sup>

<sup>٢</sup> إن جذل الطفل على شاطئ البحر لم يمنعه أن يتمنى فيه الأمانى لتغييره، فانظر إلى جذله ولا تنظر إلى أمانيه، وكذلك الناس على بحر الحياة حين يستمتعون بجذلهما ويكثر من التمني لما ليس يكون والأسف على ما كان.

## ذات وجوه

وُجُوه حياتنا متعدداً  
وَدَعْ عَنْكَ الْبَرَاقِعَ وَالطَّلَاءَ  
فَإِنْ تَحَمَدُ وَسَامَتَهَا صَبَاحًا  
فَقَدْ تَنَعَى دَمَامَتَهَا مَسَاءً

## قبرة شلي

للشاعر الإنجليزي «شلي» قصيدة ساحرة يناجي بها القبرة الشادية، وللشاعر الإنجليزي «توماس هاردي» قصيدة حزينة يود فيها أن يستنقذ من ركام الأرض أشلاء تلك القبرة الهزيلة التي هاجت خيال «شلي» الفياض.  
وقد نظمتُ الأبيات التالية عقب تلاوة هذه القصيدة الأخيرة:

فِيمَ افْتِقَادِكَ جِسْمٍ قُبْرَةٍ تَوَى  
فِي الْأَرْضِ بَيْنَ رَمَائِمٍ وَحَفَائِرٍ؟  
الآن صوت الشعر خلد صَوْتَهَا  
تَبْغِي الْخُلُودَ لَجْسِمِهَا الْمَتَطَائِرِ؟!  
خُذْ مَا بَدَا لَكَ مِنْ تَرَى الدُّنْيَا تُصَبُّ  
فِيهِ رُفَاتًا هَاجَ مُهْجَةَ شَاعِرٍ

## ضلال الخلود

كان في الأرض قبل عشرين ألفاً  
كان، لا شك فيه عندي ولا مبدؤ  
نظم الشعر في الحسان وحيي  
قُبْلَةَ الشَّمْسِ وَهُوَ دَاعٍ شَجِي  
ليت لي من قصيدة بيت شعر  
في ثنايا البلاد يرويه حيي  
ليت لي من قصيدة فرد بيت  
صح أم لم يصح من الروي  
أشتري بيته بديوان شعبي  
من فأين المساوم الصيرفي  
ضلة للخلود نأسى عليه،  
أخلد الخالدين فيها دعوي!

## النور

إذا كان النور مما يُحسّ بالعين فليس يلزم من ذلك أن العين هي الوسيلة الفريدة بيننا وبين النور؛ إذ نحن نحسه بأرواحنا وبكل ملكة روحانية فينا، فنشعر أنه والحياة من معدن واحد في عنصرها المحسوس وعنصرها المجرد على السواء ... وإلى أين ينتهي بنا تحليل النور على أيدي علماء الطبيعة فضلاً عن الفلاسفة والمتصوفة؟ ينتهي بنا إلى أنه «معنى» يشبه المعاني المجردة في الكنه والقياس، ولو أمكن تحليل الفكر على هذا النمط لالتقى بعنصر النور التقاء القريب بالقريب، وهذا شعور شعرنا به من قديم في الدواوين الأولى قبل أن يصل العلماء إلى تحليل النور على النمط الحديث، وقد عدنا إليه في هذه الأبيات:

النُّورُ سِرُّ النِّجَاةِ	النُّورُ سِرُّ الحَيَاةِ
النور وحي الصلاة	النور وَحْيُ النُّهْيِ
النور شوقُ الفتاةِ	النور شوقُ الفتى
لمحَ العيونِ الخِوَاةِ	المحَهُ بالرُّوحِ لا
معناه إلا أداة	ما تبصر العين من
لا ما افتراه الهداةُ	هذا سبيل الهدى

## الشمس

وإلا فما بالُ النفوسِ بها تسمُو؟! سعادةُ رُوحٍ ليس يعرفها الجِسْمُ كما قد يعافُ الملح والسمع والشمُّ بقلبي من شمسِ النهارِ هوى جَمُّ غريب عرا، لم يُدرَ وَصْفُ له واسمُ وتُشرقُ فيها، كيف يطرقُها الغمُّ!	أرى الشمسَ روحانيةً في جمالِها إذا فاض منها النورُ هزَّتْ قلوبنا ولو أنها من لذة الحس عفتها كرهتُ من الدهرِ الكثيرَ ولم يزل تُرى كلَّ يومٍ وهي عندي كأنَّها عجبتُ لأرضٍ تخطر الشمسُ فوقها
--	--

## إلى غاندي حين أعلن الصيام

أتيتَ إلى الدُّنيا العريضةً عارياً  
تركتَ لهم حتى الطعام فقل لنا  
إذا البؤس والحرمان كانا شفاعَةً  
إذا كان ما ندعوه بؤسى غنيمةً  
وتقضي بها جوعاً، وما عزَّ مأكُلُ!  
على أي شيء بعد موتك تقبلُ؟!  
لعالمك الأعلى، فما هو أفضلُ  
لمن يطلب النُّعمى فبئس المعوَّلُ

## الوجه الفيلسوف

أرى لك أنتَ فلسفةً صُراحاً  
أدُّمُ العَيْشَ في أَلْفِي كتابٍ  
إذا ما الفيلسوف أطلَّ سخطي  
عُنيتَ عن الأدلة والأحاجي  
بلمح العين أقرأها جميعاً  
وتعرض لي فأمدحه سريعاً  
على لؤم الحياة فكن شفيحاً  
ومن حاجاك<sup>٢</sup> لم يكُ مستطيعاً

<sup>٢</sup> حاجاه: غالبه في الحجى أي العقل، أو ألقى عليه الأحاجي والألغاز.

## خواطر في شئون الناس

### القدر يشكو

صغيرٌ يطلب الكبرا  
وخالٍ يشتهي عملاً  
وربُّ المالِ في تعبٍ،  
ويشقى المرءُ منهزماً  
ولا يرضى بلا عقب  
ويبغى المجد في لهف  
ويحمد إن سلا، فإذا  
فهل حاروا مع الأقدار  
شكاة ما لهم حكم  
وشيوخٌ ودُّ لو صغرا  
وذو عملٍ به ضجرا  
وفي تعبٍ من افتقرا  
ولا يرتاح منتصرا  
فإن يعقب، فلا وزرا  
فإن يظفر به فترا  
توله قلبه زفرا  
ر أو هم حيروا القدرا!  
سوى الخصمين، إن حضرا

### الحمد المعكوس

يا رَبِّ حَمْدٍ لم ينله الذي  
وربُّ هجوٍ طافَ بي لم يَكُنْ  
قد ناله إلا لهجوي أنا  
يطوفُ بي لو لم أكنْ مُحسِنا

## عدل الموازين

إننا نريد إذا ما الظلمُ حاق بنا  
عدلُ الموازين ظُلمٌ حين تنصبُها  
ما فرقتُ كفةَ الميزانِ أو عدلتُ  
عدَلَ الأناسيِّ لا عدَلَ الموازينِ  
على المساواةِ بين الحرِّ والدُّونِ  
بين الحليِّ وأحجارِ الطواحينِ

## الخبز والفقير

أحسب الخُبْزَ لو دَرَى لتأبَى  
إنما تُسَلِّسُ الطَّلَابَ جميعًا  
في يدِ الجائعِ الفقيرِ إليه  
لامرئٍ هانتِ الطَّلَابُ عليه

## عادة مريحون

نَعَم العُداةُ تكفَّلوا بمدائحي  
وتكفَّلوا بالتُّارِ منهم كُلمًا  
حملوا المتاعِبَ واسترحتْ فلم يزل  
لما استحقُّوا الذمَّ والتعذيرا  
ملاؤا صدورهمُ لظى وسعيرا  
سعي العداة موفِّقا مشكورا

## عم صباحًا، عم مساء

عَم صباحًا عَم مساءً  
أَقْبَلَ الصبحِ وولَّى  
وأخذنا ورددنا  
ولقينا أصدقاءً  
فشقينا بولاءٍ  
وعشقنا وتركنا  
من عشقناه ومن لم  
وعرفنا الحق أحيًا  
ذهبَ العُمُرُ هباءً!  
ومضى اللَّيْلُ وجاءَ  
فحكى الأخذُ العطاءَ  
وفقدنا أصدقاءً  
وتملينا عداءً!  
حبٌّ من سرِّ وساءَ  
نره قط سواءَ  
نأ فلم نعرف هنا

وجهلنا الحق أحياء  
وقتلنا الجسم والرُّو  
ثم نمضي حيثما نم  
لم نزد في الأرض مملو  
عَمَّ صباحًا يا زمانِي!  
نأ فلم نجهل شقاء  
ح سقامًا وشفاء  
ضي سراعًا أو بطاء  
ءًا ولم ننقص فضاء  
يا زمانِي عَمَّ مساء!

### شطور

دليل على أن الكمال محرّم  
فما المرء في جسمٍ وروحٍ بكامل  
إنّا خُلِقن بينها وذُكُورُ  
ولكنَّ كلَّ العالمين شُطُورُ

### سوء الظن

من ساء بالناس ظنًّا دون ما ألم  
أسئ ظنونك لكن مكرهاً أبداً  
أحق عندي بسوء الظن والتُّهم  
كمن يظن ببعض الآل والحرم

### البرهان المحسوس

تعب الفلاسفة الكرام ليهدموا  
وأرى الدمامة في وجوه جناتها  
حُجَجَ الشُّرور ويدعموا البرهاننا  
عصفت بفلسفة الشُّرور عيانا

### الآمال

كانت الآمال تحملني  
إن أحلامًا تعللني  
فأراني اليوم أحملها  
غير أحلامٍ أعللها

## سِرُّ فِي طَرِيقِكَ

تَحَفَّلُ بَمَنْ جَدَّ فِي لَوْمٍ وَمَنْ لَعِبَا  
وَيَغْضَبُونَ عَلَى مَنْ يَحَفَّلُ الْغَضْبَا

سِرُّ فِي طَرِيقِكَ بَيْنَ اللَّائِمِينَ وَلَا  
فَالنَّاسُ يَرْضَوْنَ عَمَّنْ لَيْسَ يَحْفَلُهُمْ

## اعرف ما ترميه، تعرف ما تجنيه

إِذَا مَا شَتَّتَ أَنْ تَغْنَى  
فَقَدْ يَجْهَلُ مَا يُجْنَى

تَعْلَمُ كَيْفَ تَسْتَعْنِي  
فَمَنْ يَجْهَلُ مَا يُلْقَى

## إِنصاف الظالم

فِي ذَلَّةِ الْمَظْلُومِ عُدْرَ الظَّالِمِ  
شَرٌّ مِنَ الْعَادِي عَلَيْهِ الْغَانِمِ

أَنْصَفْتَ مَظْلُومًا فَأَنْصَفْ ظَالِمًا  
مَنْ يَرْضَ عُدْوَانًا عَلَيْهِ يَضِيرُهُ

## عزاء

وَلَا الرَّجَاءُ بِسَرْمَدٍ  
فَإِنَّهُ يَتَجَدَّدُ  
إِنَّ الطَّرِيقَ مُمَهَّدُ  
فَالْعَوْدُ أَهْدَى وَأَحْمَدُ!

لَا الْيَأْسُ أَوْلَى يَأْسٍ  
فَإِنَّ تَقْضَى رَجَاءٍ  
أَوْ حَلَّ يَأْسٍ فَأَهْلًا  
شُقَّ الطَّرِيقَ قَدِيمًا

## الخلاصة

عنه، وإن كانت خلاصة ما هِر  
يُغْنِي الْعَيُونَ عَنِ الرَّبِيعِ الرَّاهِرِ

لَيْسَتْ خِلَاصَةٌ كُلُّ شَيْءٍ غَنِيَّةٌ  
فَالشَّهْدُ وَهُوَ خِلَاصَةُ الْأَزْهَارِ لَا

## تكاليف العظمة

كُنْ عَظِيمًا وَلَا تَلُومَنَّ إِلَّا  
كُل رَاجٍ يَلْقِي عَلَيْكَ مُنَاهُ،  
هَمَّةٌ كَلَفَتْكَ هَمًّا جَسِيمًا  
تُنْصِفُ الْأُمَّةَ الضَّعِيفَ وَلَا تُنْذِرُ  
فَإِذَا خَابَ كُنْتَ أَنْتَ الْمَلُومًا  
صِفُ يَوْمًا عَظِيمَهَا الْمَظْلُومًا

## رب عبوسة خير من بشاشة

إِذَا مَا تَبَيَّنَتِ الْعَبُوسَةَ فِي أَمْرِي  
أَجَلُ سَلُهُ قَبْلَ اللُّومِ فِيمَ انْقِبَاضِهِ  
فَلَعَلَّ طُلَّابَ الْخَيْرِ سَرُّ انْقِبَاضِهِ  
فَمَا تَحْمَدُ الْعَيْنَانِ كُلَّ بَشَاشَةٍ  
وَفِيمَ رَمَى الدُّنْيَا بِطَرْفِ كَظِيمِ  
وَعَلَّةَ حَزْنٍ فِي الْفَوَادِ مَقِيمِ  
وَلَا كُلَّ وَجْهِ عَابِسٍ بِذَمِيمِ  
أَحَبُّ مِنَ الْبَشَرِيِّ بِفَوْزِ لَثِيمِ

## وصايا معكوسة

من عمل بها فلعيه وزرها.

ومن لم يعمل بها فأجره على الله!

إِذَا قَالَ الرَّجُلُ لِرَسُولِهِ: «أَذْهَبْ إِلَى السُّوقِ فَهَاتِ عَنِّي حَامِضًا!» فَلَيْسَ مَعْنَى ذَلِكَ أَنَّهُ يَطْلُبُ الْعَنْبَ الْحَامِضَ وَإِنَّمَا مَعْنَاهُ أَنَّهُ يَأْبَاهُ وَيُنْبِئُهُ إِلَى اجْتِنَابِهِ، وَكَذَلِكَ هَذِهِ الْوَصَايَا إِنَّمَا هِيَ وَصَايَا أَسْفَافٍ وَتَحْذِيرٌ وَلَيْسَتْ بِوَصَايَا رِضَا وَتَرْغِيبٍ، وَالْقَصْدُ مِنْهَا أَنْ تَصِفَ مَا يَقَعُ أَحْيَانًا بَيْنَ النَّاسِ، وَتَنْكَرَ أَنْ يَشِيْعَ:

## الضعة والشرف

وَالِ الْمَدْنَسُ بِالْعِيُوبِ وَلَا تَكُنْ  
فَذُو الْمَعَائِبِ لَا تَنَاحِرَ بَيْنَهُمْ  
يَوْمًا وَلِيًّا لِلنَّبِيلِ الطَّاهِرِ  
وَالنَّبِيلُ فِيهِ سَبِيلُ كُلِّ تَنَاحِرِ  
وَذُو الْمَعَائِبِ أَمْنُونَ لِمَنْ وَفَى  
وَالنَّبِيلُ لَيْسَ بِأَمْنٍ لِلْغَادِرِ

وذوو المعائب ما لهم من حاصر  
وذوو المعائب يسترون خلالهم  
وذوو المعائب عذرهم في نقصهم  
وذوو المعائب ينعمون بحظهم  
ولرب ربح فات من ذي ذمة  
رأي السلامة إن أردت فخذ به

والنبل محصور قليل الناصر  
والنبل ما لهناته من ساتر  
والنبل ما لكماله من عاذر  
والنبل ما لشقائه من آخر  
يسعى إليك مع الخئون الخافر  
أو لا فدعه إن استطعت وخاطر

### مصائب النخوة

لا تكن موئلاً لآمال قوم  
وأخف ما استطعت منهم يخالوا  
أن في طينة ابن آدم لوماً

سوف تُمنى بياسهم منك بعدُ  
أمنهم من أذاك غنماً يُعدُ  
يستوي في قذاه حر وعبدُ

### بمن تثق؟!

ثق بالرزيلة تلقها  
إن الفضيلة قلما  
حتى الأفاضل عرضة  
ما كل يوم يُرتجى  
ومن النوادر أن تُرى  
من لم يدر في دهره

في كل حين حاضره  
تلقاك إلا عابره  
لهوى الهنات البادره  
عطف النفوس الطاهره  
عند التعطف قادره  
دارت عليه الدائره

### من تكون؟ ومن لا تكون؟

كن بينهم «بوذا» فإن لم تطق  
أو عش معافى بينهم لا ترى  
قد ضل من يطلب إصلاحهم

فكن كتيهور ونيرونا...!  
إصلاحهم دنيا ولا ديننا  
لا غرو أن سموه مجنوننا!

يأمنهم من فاتهم طائئًا  
أو راح فيهم طالبًا نفعه  
من هان أو هان الورى عنده  
أولئك الرهط الذي لم يزل  
يا بؤس أرض لا نرى فوقها  
أو ساقهم كرهاً مطيعينا  
لا عاليًا يأبى ولا دونا  
أو سامهم في ظلمه الهونا  
يأمن ما يخشى النبيونا  
إلا طغاة أو مراثينا

### الخلاصة الأولى والأخيرة

هما سبيلان من يبيخ السلامة لا  
ومن بغى الحق في الدنيا فلا أسف  
قد يهجر الأمن من ذلوا ومن وهنوا  
فاختر لنفسك: إما المجد في خطر  
وما اختيارك إلا ما خُلِقَتْ له  
يأسف على الحق أو يحلم برؤياه  
على السلامة إن خانتته دنياه  
وما تفرق قط الهول والجاه  
أو الهوان، وقد تشقى ببلواه  
إن الطبائع ما ترضاه نرضاه

### عداوة الرجال وعداوة الأفكار

قصدوا الرجال ورحت أقصد دونهم  
فجنيت أحقاد الرجال وما جنوا  
ولعلمهم إن جاء يوم حسابهم  
لولا الطبائع ما توصل عاقل  
إرضاء آمال لمصر كبار  
حقدًا من «الآمال» والأفكار  
كسبوا من «الآمال» كل فخار  
أبدًا بغير وسائل الفجار

### صراع بين ندين

بعض المجرمين يُوصَفون بقوة العقول؛ لأنهم صرعوا ضمائرهم ومضوا خفافًا في طريق النجاح، ولو كانت ضمائرهم حية قوية لما استطاعوا قهرها ولا وصفهم أحد بكبر العقول، فربَّ عقل صغير غلب ضميره؛ لأن ضميره ميت لا يتحرك، ورب عقل كبير عنا لضميره لأن ضميره أكبر... فخير لمن يصف عقلًا بالقوة أن ينظر إلى الندين، وأن يرجع في حكمه إلى أصول الصراع!

صرع الضمير الميت فالتفتوا  
ليس الصراع بفن مقدرة  
ولرب عقل للضمير عنا  
يتعجبون لعقله العاتي  
ما بين أحياء وأمواتٍ  
تعنو العقول له زرافاتٍ

### صور الرجاء

أمسيت أذكرها ما مضى من صبوتي  
قد ييأس الإنسان من غده ولا  
ما شئت من صور الرجاء فلذُ به  
والذكر آمال الزمان الغابرِ  
تلقاه ييأس من حنين الذاكرِ  
بعض الغد الآتي كأمس الدابرِ

### شفاعة العفو

إن الإساءة إن رجعت بها إلى  
من علل الأشياء ردَّ دفينها  
أولى بمحو الذنب أن يُلقَى به  
أصل غرست لها جذورًا في الثرى  
حيًا ويابسها المحطم أخضرا  
كالفرع جف على الثرى فتكسرا

## قصص وأماثل

### أكاروس

قصة «ديدالوس» و«أكاروس» تُروى على روايات كثيرة في الأساطير اليونانية القديمة، وقد اخترنا هذه الأسطورة لنظمها والتعليق عليها؛ لأنها تجمع العبرة والمتعة الخيالية، وهذه هي خلاصتها: ديدالوس بطل كانوا يضربون به المثل للقدرة الخارقة في الصناعة وحسن الحيلة في تذليل المصاعب والخروج من المآزق، وزعموا أنه غار من ابن أخته الذي كان يتعلم على يديه فقتله وأخفى جثته، ثم خاف العاقبة فهرب من أثينا ومضى يضرب في البلاد برًا وبحرًا، حتى نزل «كريت» على صاحبها «مينو» فلقي عنده كرامة وحسن وفادة، وأمّل «مينو» أن يستفيد من علمه وقدرته في تحصين بلاده وتعليم رعيته فأبقاه وتكفل له بالحماية وطيب المقام.

وكان لمينو زوجة جامحة الهوى تحب ثورًا مشهورًا في الأساطير باسم «منطور»، فولدت منه طفلًا لا إلى الثور ولا إلى الإنسان، وغلب عليها حب الأم فأرادت أن تستحييه وتحفظه في غفلة من زوجها المخدوع، فلجأت إلى ديدالوس تطلب إليه أن يبني لذلك الطفل سردابًا مجهول المنافذ تضعه فيه وتتعهده بالتربية والحراسة، فتردد الصانع أولاً وحسب حساب الرفض والقبول، ثم قبل أن يصنع السرداب مخافة من دسياسة الزوجة واطمئنانًا إلى خفاء الأمر بعد بناء السرداب، ولكن الملك علم به فثارت ثورته وأغلق مسالك الجزيرة ومنع أن يفلت ديدالوس منها هاربًا من عقابه، فلما اشتد الحجر على ديدالوس هدته الحيلة إلى صنع أجنحة له ولولده «أكاروس» يطيران بها عن الجزيرة، ونصح الحكيم الصانع ولده ألا يعلو في السماء فتذيب الشمس لحام جناحه ولا يهبط على الماء فيبيللهما الرشاش الكثير، ولكن الولد نسي النصيحة وهو في نشوة الطيران

والثوب، فعلا مصعدًا إلى الشمس وكان ما خافه أبوه؛ إذ سقط هالكا على صخرة في البحر يبكيه من حولها نبات الماء، فالأسطورة مجال لاستعراض عِبَر الشهرة والغيرة والشهوة والطماح:

وتلك المهاي من خضارة<sup>١</sup> فاجنب  
ونادى، فنحى جنده كل مركب  
متى حيل ما بين السماء وكوكب  
أنيس ولا جن ولا ذات مخلب  
على سنة الطير التي لم تُهدب  
على أهبة في جوها المتقلب

أكاروس هذا مسبح الطير فاركب  
زوى الغاشم المخدوع عنا سفينه  
وظن بنا عجزًا، فيا سوء رأيه!  
أدر مركب الريش الذي ما استقله  
وطرّ نلتمس عبر<sup>٢</sup> الشمال ونرتحل  
تراها إذا ضاقت بلاد بسربها

\* \* \*

إلى الأوج، فاحفظه لشوط مغيب  
ولكن سبيل الأوج ليس بمقرب<sup>٣</sup>  
فلا تجعل العقبي إلى شر مهرب  
ولا تك من يعلو إلى غير مطلب  
جناحك، أو تبتلّ بالماء ترسب  
لريشك وهي من رشاش مرطب  
ومن خبرتي نخر الصناع المجرب  
صنيع الحجى لا الكف أنفس مكسبي  
يخُنك جناح الرأي يومًا فتعطب  
أمانة روح لم يصنها لمأرب  
فأسند إلى عزم الصبا حزم أشيب

ألا وادخر عزمًا يقودك شرخه  
وسر قدمًا إن المطار لواحد  
أكاروس! إنا هاربان من الردى  
توسط فلا تهبط ولا تعلُ مصعدًا  
فإنك إن تغتر بالشمس ينخذل  
هنا لافح يوهي اللحم، وها هنا  
أكاروس، إنني باذل لك من يدي  
تذكّر عظاتي واعلم اليوم أنه  
ولا تتخذ ريشي وتنس نصيحتي  
أقل من الصخر امرؤ ضم جسمه  
ولي فيك أعمار طوال وللدنى

<sup>١</sup> اسم معرفة للبحر.

<sup>٢</sup> العبر الشاطئ.

<sup>٣</sup> أي إنك إذا طرت إلى الأمام أو إلى فوق فالمطار واحد، ولكن المطار إلى فوق لا يقربك إلى قصدك، وإنما يقربك إليه أن تطير إلى الأمام.

فتى صالحًا يجني الفناء على أبٍ  
فإن مات يومٌ قبل ماضيه فاعجبُ  
سبيل إلى تكراره لمعقبِ  
وللأرض منا لهفة المتغربِ  
وإما فراق شاعب كل مشعبِ

حياتك من بعدي معادي، ولن ترى  
وللأمس شوقٌ أن يرى الغدَ طالعًا  
بُنِيَّ استمع قولي فما بعد نسيه  
إلى الجو! هذا يا بني وداعنا  
فإما لقاء بعدُ فوق صَعِيدِهَا

\* \* \*

وَنِعْمَ الموصِّي من حكيمٍ مدرّبٍ  
من العجز إن قيست بها لم تركبِ  
لَتُقَبَسَ من سر الحياة المحجبِ  
أَكْفًا وأعضادًا إلى كل منكبِ  
قدير على فعل الأعاجيب معجبِ  
وخلسة ثعبان وحيلة ثعلبِ  
وبيت لأجيال وزين لمنصبِ  
وقد يحمل الغيران أوزار مذنبِ  
ولم يرع حق الأخت في ابن محببِ  
وواراه، لم يندم ولم يتحوب<sup>٦</sup>  
فضاء أثينا من مقيم ومعزبِ  
وهذا مزجى دونها كالمتربِ  
نكاء يريك النجم في جنح غيهبِ  
وكانت منازًا بين شرق ومغربِ  
تصعد أثناء الذرى بالتصوبِ  
على خير أهل في حماها ومرحبِ

وصاة لديدالوس وصى بها ابنه  
صناع له كف كأن أكفنا  
عليم بأسرار الفنون، وإنها  
ومن يؤتَ تصريف الجماد يصف به  
وناهيك ديدالوس من ذي حصافة  
يُعيرك من يمناه صوله قشعم<sup>٥</sup>  
ويبني فمبناه عماد لأمة  
ولكنه بئس الغيور على اسمه  
تغيط لما بزّه فرع صنوه  
فأصماه، لم يشفق عليه من الردى  
وما كان إلا أن نبا بكليهما  
فهذا مسجى في ثراها مترب  
تشرّد واستعدى لإخفاء أمره  
ووارته من عين الغريم فنونه  
وما زال يغروري البلاد ويتقي  
إلى أن تلتقته «كريت» وربها

<sup>٤</sup> الكنف: الحرز، يقال: أنت في كنف الله؛ أي: في حرزه.

<sup>٥</sup> القشعم: المسن من النسور، ومن كل شيء.

<sup>٦</sup> تحوب: أي تجنب الحوب، وهو الذنب.

وأمل «مينو» منه حصناً لملكه      فحصنه «مينو» بملك مؤشِب<sup>٧</sup>  
وما ملك إلا له من صناعة      معاقل يبنيها ليوم عصبصِب

\* \* \*

هنالك كان الأمن لو يأمن امرؤ      يُخاف ويُرجى للمخوف المؤرِب<sup>٨</sup>  
تحير ديدالوس ما بين منكر      وشكر، وغب اثنيهما غير طيب  
أیحمل شكر الملك أم كيد عرسه      وأنجاهما في طيه سم عقرب  
غوت غرس مينو واشتهت، ساء ما اشتهدت      من الناس، لا بل من بهيم مذنب  
تحن إلى ثور وتهوى اقترابه      وليس ولي العهد منه بمعجب!  
فأولدها طفلاً له مثل ظلفه      إلى شر وجه آدمي ومنكب  
ويا رب أنثى تعشق الثور كلما      سبأها فتى بالجسم لا الروح يستبي

\* \* \*

فمن غير ديدالوس يخفي شنارها      ويرعى مهاد الطفل رعي المؤدِب<sup>٩</sup>!  
أهابت به أمًا وأنثى حريصة      ومالكة حيرى، فلم يتهيب  
بنى لسليل الثور حرزًا، وليته      تلمس حرزًا من غوائل مغضب  
غوائل «مينو» حين ثارت ظنونه      وضاجع أشجان المعنى المعذب  
وأقسم لا واق من الموت عنده      ولا وائل من سخطه المتلهب  
وأهول من هول الخضارم في الدجى      ضراوة مهتوك وغيظ مخيب

\* \* \*

فلما تنادى الجند وارتجت القرى      وخيف الأذى من حاضرين وغيب  
وقالوا: أمن رب الجزيرة حربه      يوقيه عرض البحر أو طول سبب  
أهاب الصناع العبقري بفته      فلباه، فاستعلى به متن أشهب<sup>٩</sup>

<sup>٧</sup> متشابك ملتف.

<sup>٨</sup> المعقد المحكم.

<sup>٩</sup> الأشهب: الأمر الصعب، وقد يُطلق على الطير الجارح الأشهب.

تسرّبل من ريش وسرّبل نجله      خوافتق لوى بينها ألف لولبِ  
فحلق مزهواً وفر مظفراً      وأغرى لسان السخر بالمتعقبِ

\* \* \*

مضى ناجياً من بأس «مينو» فهل نجا      فتاه من البأس الذي فيه يختبي؟  
بلى! قد نجا لولا طماح سما به      إلى الشمس في ثوب من النار مذهبِ  
تعشقها مفتونة فتقبلت      هواه بوجه صادق النور خلبِ  
وأسكره الشوق الجديد فما ارعوى      لنصح نصيح أو لزجر مؤنبِ  
وما هي إلا وثبة بعد وثبة      إلى الشمس حتى عزه كل موثبِ  
تعشقها ناراً، فإن جاءه الأذى      من النار، فليعتب فلا حين معتبِ

\* \* \*

علا بدم حي وخر مضمخاً      به في جناحي أرجوان مخضبِ  
طريحاً على صخر تغشيه رغوّة      من العيلم<sup>١٠</sup> الغضبان في غير مغضبِ  
وراحت بنات الماء يندبن حوله،      ومن ير أنقاض الصبا الغض يندبِ  
وما من عزاء للشباب علمته      سوى مدمع من أعين الحسن صيبِ  
إذا جال في حسبانته هان عنده      دموع ذراها<sup>١١</sup> الحزن من طرف أشيبِ

### عيد ميلاد في الجحيم

دخل شقي الجحيم، فحسبوه مولوداً جديداً في ذلك العالم القديم، ومضى عليه العام  
فاحتفل بعيد ميلاده، وقال لأترابه وأنداده:

صفوا الموائد واملأوا الأكوابا      وادعوا الصحاب، وبشروا الأحبابا

<sup>١٠</sup> العيلم البحر.

<sup>١١</sup> ذرا الشيء: فرقه وبعثره.

قولوا مضى عام ليوم هبوطه  
وبلا المقام فراح يحمد شر ما  
هذا الجحيم أحب لي من عالم  
الشر ثمة كان شرًّا كاسمه  
يشقى بنوه ليعمره ويحشموا  
لا يعرفون الحق إن سمعوا به  
أهون بصابٍ في الجحيم أدوقه  
صابًا إذا ارتوت الشفاه شربته  
ولرُبَّ وجه يومذاك شهدته  
وجه اللئيم إذا استهل ومثله  
ورضا الظلوم وحيرة المظلوم في

\* \* \*

يا صحب حيُّوا النار في ويلاتها  
ما كان من حسن هناك فجهده  
أو كان من فضل هناك فحسبه  
يا صحب هاتوا من علاقمها لنا  
من عاش عامًا في الجحيم فلا انتهى

واحثوا على ذاك التراب ترابا  
أن يخذع الأبصار والألبابا  
أن يملأ الدنيا عليك صعابا  
وادعوا الأحبة واشربوا الأثخابا  
أبدًا إلى ذاك الجوار مآبا

هو وضميره

هو:

ماذا أقول؟ ظلمته وجدته  
حق الثناء، وإنه لعظيم

<sup>١٢</sup> أقام مأدبة.

**ضميره:**

قل إنه خير الأنام، وإنه عالي المقام، وإنه مهضومٌ

**هو:**

هيئات! أخسر ذلك المال الذي تدري مصادره، وأنت عليم!

**ضميره:**

لك أن تبوح إذن بباطن سره  
قل إن رب المال أثقل خاطري  
وتلوم من هو في الخفاء ملومٌ  
فكبا بحمل الصدق، وهو كظيمٌ

**هو:**

أفأنت خصمي يا ضمير؟ أنصح  
أتريد أفضح آجري<sup>١٣</sup> وأرتدي  
لي بالجنون؟ أهازل؟ أسقيم؟  
ثوب الصغار، فيبرح المكتوم؟

**ضميره:**

كيف الخلاص؟ إذن تنقص قدره  
قل إنك الرجل الغيور، وإنه  
لا ترتدي ثوب الصغار ولا تشي  
وتروح بين الناس صاحب سمعة  
وامسخ فضائله، ودعه يهيمُ  
فدم،<sup>١٤</sup> وإنك بالعقول رحيمٌ  
بالآجرين، وغيرك المحرومُ  
ينفضُّ حولك مسكها المختومُ

<sup>١٣</sup> جمع آجر.

<sup>١٤</sup> جاهل غبي.

هو:

أبدًا بتهوين الصعاب زعيمُ  
سأظل أقعد غاضبًا وأقومُ  
رَجَل الغيور! وحبذا التعليم!

بُورِكت يا هذا الضمير فأنت لي  
الآن فانهب «تستريح» فإنني  
أولست بالرجل الغيور؟ أجل أنا الرُّ

### كعبة الأصنام بعد الزلزال

زينة تأخذ قلب الصب تيهها  
والدمى مستعبدات صائغيها  
أو تماثيل تناجي عاشقيها  
كاد من صلى إليها يزدريها  
فتداعى، فبدا مسخًا كريها  
فاحتوته ظلمات غاب فيها  
هل ترى داعيه إلا سفيها؟!

كانت الكعبة والأصنام فيها  
حفلت في كل ركن بالدمى<sup>١٥</sup>  
هي أصنام لمن يعيدها  
عظمت حينًا فلما زلزلت  
كان فيها صنم الحق نبيها<sup>١٦</sup>  
نزع الزلزال عيني رأسه  
وارتمت ساقاه في جانبه

\* \* \*

صاغي السمع، كما شئت، نزيها  
وسمات تزدهي من يجتليها  
ومضت كف بلا كف تليها  
هل ترى داعيه إلا سفيها؟!  
حيث لم أبصر له قط شبيها  
واسع الصدر، يحييك وجيها  
عن حنايا صدره لا قلب فيها

كانت النخوة فيها صنمًا  
يخلب الطرف بحسن واضح  
فارتمت أذناه في الأرض لقي  
يطلب الغوث ولا غوث له  
والإخاء المحض كم أبصرته  
قائمًا يفتر عن مبسمه  
شقه الزلزال فانجاب لنا

<sup>١٥</sup> جمع دمية، وهي التمثال.

<sup>١٦</sup> النبيه: من النباهة، وهي الظهور والشهرة.

## قصص وأمثال

خير ما في وجهه ظاهره هل ترى داعيه إلا سفيها؟

\* \* \*

وتراءى الحب فيها فتنة ما اجتواها زائر من زائريها  
ضرب الزلزال في أصنامه فهوت أشلاؤها تنعى ذويها  
ما الذي أبقاه من أشلائها؟ سوأة يعرض عنها مشتئها

\* \* \*

وهوى تمثال مجد لامع يخطف العين بنور يعتليها  
ملاً الدار علينا جوهرًا زائفًا ينطق بالزيف بديها  
وقشورًا لا تساوي وزنها من تراب، لن ترى من يشتريها  
هي إن قامت جمال فإذا سقطت، لم تكد العين تعيها

\* \* \*

هكذا أقوت زوايا كعبتي وثوت خاوية من ساكنيها  
غير أنني طائف من حولها لم أشأ أهجرها أو أبتئها  
لا طواف المتملي<sup>١٧</sup> حسنها أو طواف المهتدي من عابديها  
بل كمن نقب في جوف الثرى يجمع الآثار في شتى سنيها  
من فراغ لا من الرغبة في تلکم الآثار، أمسى يقتنيها  
أو هي العادة كالطيف إذا هام بالأجداث يبكي نازليها

## بين الشاعر وعروس شعره

كفى يا عروس الشعر خيبت آمالي وكذبت أحلامي، وأشمت عذالي  
إذا ما وعدت اليوم أخلفت في غدٍ وهيهات لا تبقين يومًا على حالٍ

<sup>١٧</sup> تمل الحسن: نظر فيه واستمتع برؤيته.

يظل غريزًا من أعارك سمعه وإن عاش أجيالًا عفت بعد أجيالٍ

\* \* \*

كفى يا صديق العهد هيجت بلبالي وما أنت بالسالي هواي ولا القالي  
ملامك فيه الحق، أو فيه بعضه وما غاب عن ظني ولا بان عن بالي  
إذا قلت زورًا فهو من صدق شيمتي ومن يصف الدنيا يصف خيم<sup>١٨</sup> ختالٍ  
إذا هزلت أُمي الحياة فهل ترى من الصدق ألا يطرق الهزل أقوالي؟  
بحسبك من عذري إذا ما عدلتني أمانة تمثيلي، وروعة تمثالي!

### إبليس ينتحر

الاستعباد هو الجو الذي تعيش فيه الشياطين لأنه جو الخوف والإغراء، وإبليس يخاف  
أن يخرج منه إلى جو الحرية كما تخاف السمكة أن تخرج من الماء:

هاتوا لي الخير والهدى جرعا  
حرية القوم أفسدت خدعي!  
إن مُنعت لذة حفزت لها  
أو حجبت شهوة أزينها  
وإن طغى ظالم له خنعوا  
لو دام هذا البلاء واتسعت  
واستغنت الأرض والسماء معًا  
ما حاجة الأرض للأبالس في  
وكيف تغذوهم بلا عمل  
وأين يأوونها إذا قشعت  
أتى زمان أموت فيه أنا  
أبضع نفسي حزنًا كمن بخعا  
لم تبق لي في الأنيس منخدا  
فكيف حفزي من لم يكن مُنعا؟  
فكيف تزيين ظاهر سطعا؟  
فكيف يطغى إن عز من خنعا  
حرية القوم ضاق ما اتسعا  
عن الشياطين فانطوا جزعا  
عهد نضا الخوف عنه والجشعا؟  
وهي على السعي شأنها اجتماعا؟  
عنها ظلام الدهور فانقشعا  
إبليس يأسًا، وفي يدي صنعا

<sup>١٨</sup> الخيم: الطبع والعادة.

قصص وأماثل

ودعت ملك الدنيا وودعني      ملك إذا هم قلَّما رجعا  
هاتوا لي الخير جرعة فإذا      ضعفتُ عنه شربته جرعا  
سأسبق الموت حين يتبعني      فإنه لاحق إذا تبعنا



## وصف وتصوير

### خليج ستانلي أو حمام البحر في الإسكندرية

يا ويح قلبك من هدفُ  
بين الملاح المفرغا  
سمر كما اسمر الجنى<sup>٢</sup>  
كشف الخضم طلاءهنُ  
قف في سبيلك لحظة  
حيث الخماص ولا طوى  
صال المسدد أم صدفُ  
ت من الأشعة والسدف<sup>١</sup>  
بيض كما ابيضُ الصدفُ  
نَ، ولا حجاب لما كشفُ  
وانسَ الشقاء وما اقترفُ  
حيث العراة ولا شظف<sup>٣</sup>

\* \* \*

يا ويح قلبك من هدفُ  
«كوبيد»<sup>٤</sup> يعرض من سلا  
تلقى الطويلة كالقصيد  
بين البضاضة والهيْفُ  
حيه الفخامة والرهْفُ  
رة، والسماحة كالصلف<sup>٥</sup>

<sup>١</sup> السدف: من الأصداء، بمعنى الظلمة وبمعنى الضوء.

<sup>٢</sup> الفاكهة التي تُجنَى.

<sup>٣</sup> الخمصانة ضامرة البطن، والطوى الجوع، والشظف ضيق العيش.

<sup>٤</sup> رب الحب في الأساطير اليونانية.

<sup>٥</sup> الصلف الكبرياء.

وحي الأربعين

وبرق السحاب طوالها وقصارها بـرق خطف<sup>٦</sup>  
والسهم يقصد<sup>٦</sup> إن جثا رامى السهام أو اشترف<sup>٧</sup>

\* \* \*

يا ويح قلبك من هدف بين الأناقة والترف  
بل بين ألوان الربيع مع قد اختلفن، وما اختلف  
ألقي لهن بقوسه قزح، وأدبر وانصرف  
فلبسن من أسلابه شتى المطارف والطرف<sup>٨</sup>  
وخلعن من ألوانه تحقًا تنم على تحف  
عيد الشباب فلا كلا م ولا ملام، ولا خرف

\* \* \*

يا ويح قلبك من هدف بين الصغيرة والنصف<sup>٩</sup>  
ري لمن طلب الهوى ريًا، ولذة من رشف<sup>١٠</sup>  
كالزهرة الحسناء أو كالغصن في الروض العطف  
أن تعلم ما تجهلا فلأنت تعلم ما التلف  
ولأنت تعلم ما الشغف ولأنت تعلم ما الشغف  
الحب يرمي عنهما يا ويح قلبك من هدف!

\* \* \*

يا ويح قلبك بين ذي وطن بمصر وذي كنف<sup>١١</sup>

<sup>٦</sup> أقصده: طعنه فأصابه.

<sup>٧</sup> اشترف: وقف منتصبًا.

<sup>٨</sup> المطرف: الرداء، والطفرة: ما يُستلمح ويُستظرف.

<sup>٩</sup> النصف: متوسطة السن.

<sup>١٠</sup> رشف الماء: مصه بشفتيه.

<sup>١١</sup> الكنف: الحرز، يقال: أنت في كنف الله؛ أي: في حرزه.

ما بين شرقي جفا      أو بين غربي عطفُ  
سل عصبه سكنت «جنيـ  
تدعين حرفتك السلا      م، وما السلام بمحترفُ  
هذي الملاحة قربت      بين الحدود، ولا جنفُ  
دين الملاحة واحد      ترك المذاهب واثلفُ  
حرم بميدان الحيا      ة وملجأ لا يُعتسفُ  
ما في جوانب بيته      إلا طيبب أو دنفُ

\* \* \*

قف في عبورك غير مأ      مور، ومن يعبر وقفُ  
فإذا زهبت موليًّا      فاذهب، فكم لك من خلفُ  
قال الجمال فلا تخف      صدق الجمال وما حلفُ!  
هذي المحاسن موسم      أحيت مواسم من سلفُ  
جمعت لعينك ساعة      وغدًا تفرقها الغرفُ  
ملأت خليج «ستانلي»      وطغت على أعلى الطنف<sup>١٢</sup>  
بحر تتابع مده      والبحر أعيي من غرفُ  
زمر تصباك الظمى      منها وحياك الوطف<sup>١٣</sup>  
وعناك من شمم هنا      لك ما عناك من الذلف<sup>١٤</sup>  
ورأيت معسول اللمى      قاني الشفاه له ازدلف<sup>١٥</sup>  
والشعر من شفق هفا      كالشعر من غسق رجفُ  
والنور في بدر سرى      كالنور في رعد قصفُ  
فتن شهدت زحوفها      كالجيش أهول ما زحفُ

<sup>١٢</sup> الطنف: ما برز من البناء.

<sup>١٣</sup> العين الظمياء: الرقيقة الجفن، والوظفاء: الغزيرة شعر الجفن.

<sup>١٤</sup> الذلفاء: الصغيرة الأنف.

<sup>١٥</sup> اللمى: سمرة في الشفة، وهي من الألوان المحبوبة قديمًا وحديثًا، وازدلف: تقرب.

## وحي الأربعين

فهمتفت «فليحي الجما ل» وقد يعاقب من هتف!  
هذي معارض صنعة لله تبهر من وصف  
حي الجمال كما بدا أو لا فدونك والجيف!

\* \* \*

يا ويح قلبك من هدف بين التعلل واللهف  
كم ذا رأيت، وكم طمعـت، وكم قنعت ولا أسف  
أسرفت حتى قد عرفـت القصد من هذا السرف  
ما زال يطمع من رأى ما زال يقنع من عرف

## مدينة الشمس

صدقوا! فأنت مدينة الشمس وهبتك من نور ومن قدس  
كم للنهار عليك مائدة من فيضه، كموائد العرس<sup>١٦</sup>  
تجد العيون بها كفايتها ويزيد حظ القلب والنفيس  
لحسبت أرضك وهي مشرقة تفتت عن لمحات ذي حس  
بعض الضياء إذا نظرت به أغناك عن سمع وعن لمس<sup>١٧</sup>

## شمس أسوان

شمس أسوان في الشتا ء ارقصي أو تبرجي  
إنك الشمس صُورْت فوقنا للتفرج  
لا لدفاء كما ادعوا أو لتوضيح منهج!

<sup>١٦</sup> موائد العرس مشهورة بالمبالغة في السخاء.

<sup>١٧</sup> إذا شغل الضياء النفس لفرط بهائه وشموله أفعمها بالحس؛ فلا تلتفت إلى ما يُسمَع ويُلمَس.

## الجسم الخجل

أرى في البحر أجسامًا تشعُّ عليها من حياء الحسن درعُ  
إذا ما الماء جمشها تراءى لها خجل على الأعطاف بدعُ  
وما خجل الخدود وذاك جسم سنى الخجل المورد فيه طبعُ؟

## القمرء

كلما أشرق في الليل القمرُ  
وسها الناس ولاذوا بالحجرُ  
خِلْتُ أرواحًا تداعت للسمرُ  
زمرًا تهمس من حول زمرُ  
أن هذا الحسن لا يمضي هدرُ  
حينما أسفر نور وانتشرُ  
وحلا في خلوة الليل السهرُ  
فهنا لا ريب حس وبصرُ  
شيمة المسحور يقفون من سحرُ



## غزل ومناجاة

### مباراة في مزايا الشفاه

تبارت شفاه حباها الإله      بشتى المزايا، وشتى النَّحْلُ  
لأَيِّ الشفاه تجيب السماء      وأي الشفاه هناك الأُولُ

\* \* \*

فنادى جبابرة العالمين      نداء المدل بأمر جَلُّ  
لنا وحدنا صولجان العلا      ومنا الرجاء، ومنا الوجَلُّ  
إذا ما نطقنا توالت خطوب      وصالت شعوب، ودالت دُولُ  
وفي همسة تنجلي فتنة      وفي مثلها يتدانى أَجَلُّ  
ونادى العباقرة الملهمون      صحاح المعاني فصاح الجُمَلُّ  
لنا وحدنا جائزات الشفاه      إذا اختلفت سبلها في الجَدَلُّ  
فمنا الجمال، ومنا الهدى      ومنا العزاء، ومنا الجذَلُّ  
وبالنطق يكتمل الآدمي      وفينا تكامل حتى اكتمَلُ

\* \* \*

وأقبل سرب الأطباء الملاح      رخيم البغام<sup>١</sup> مليح الكحلُ

<sup>١</sup> البغاء أرخم صوت الظبي.

## وحي الأربعين

فقال وفي قوله لثغة  
لنا القول فيكم رجالَ الكلام  
لمسنا شفاهاً ففاضت سنَى  
ومنا تذوقون طعم الحياة  
كأنك ترشف منها العسلُ  
لنا القول فيكم رجالَ العملُ  
وجرنا على جائر فاعتدَلُ  
وهل طعمها غير طعم القَبْلُ  
تسمونها قبلة واسمها  
رحيق الخلود، وريًّا الأملُ

\* \* \*

فأطرق ربهم لحظة  
وقبل مبسمه قبلة  
وقال: أجل! تلك أعلى الشفاه  
ونادى بأقربهم فامتثلُ  
تضرم منها مكان الخجلُ  
فأصغوا، وقالوا جميعًا: أجلُ

\* \* \*

بذا حكموا بعد طول المطا  
إذا التمسوا مثلاً للشفا  
لثمت الحياة بلثميها  
ل، فليسمعوا رأيي المرتجلُ  
ه، قلت لهم شفتاك المثلُ  
وعاودت بعد السلو الغزلُ

## المعاني الحية

أمواج حسن زاخره  
فتن على فتن وغا  
طوفان نوح أنتم  
تلك الوجوه الناضره  
مرة تليها غامره  
ليت السفينة حاضره

\* \* \*

يا جيرة البحر اقنعوا  
ودعوا القلوب كليله  
منا بعين ناظره  
ودعوا القرائح عاثره

\* \* \*

من كل وهاب لكم  
خلع الإله عليكم  
نعمى هبات وافره  
خلل الجمال الفاخره

## غزل ومناجاة

والبحر نشوة خمرة  
والشمس ما تهدي الثما  
ورأيت رفرقة النسيب  
فالآن ماذا تنظرو  
لم يبق في كنز الخيا  
برزت معاني الشعر في  
أنتم معانيه فما  
أنتم عرائسه وها  
هيها، ما لممثل  
ما الترجمان وتلك أسـ  
فإذا بخلنا بالقصيد

خمر البحار الكاسرة  
ر الناضجات الباكرة  
م على الجسوم الطائره  
ن من النفوس الشاعره  
ل بقية من نادره  
ثوب الحياة الظاهره  
تغني النفوس الحائره  
تيك المسارح عامره  
أو شاعر من خاطره  
ررار التراجم سافره  
يد فعاذر أو عاذره

## غزل فلسفي: فيك من كل شيء

فك من شمس الضحى العين التي  
فك من بدر الدجى أحلامه  
ترسل اللحم مضيئاً في الظلام  
حين يسري نائماً بين نيام

\* \* \*

فك من كل ربيع طلعة  
والشتاء الجهم لا يعدوك من  
تنبت النضرة عاماً بعد عام  
عهده العاصف برق وغمام

\* \* \*

ما تغنى الطير إلا بعض ما  
وإذا الجدول ناغى نفسه  
أنت راويه، ولا ناح الحمام  
فهي أصداؤك من غير كلام!

\* \* \*

وصنوف الوحش هل ناظرتها  
لا انفتال الحوت تنساه ولا  
من نفار بينكم أو من وثام؟  
سطوبة النسر ولا خوف النعام

\* \* \*

فيك من نار الحياتين الهوى هل حياة الحي إلا من ضرام؟  
والذي أرهبه وا أسفًا هجرك المدعو بالموت الزؤام!

\* \* \*

فيك من دنياك نقص رائق ومن الأخرى تباشير التمام  
ومن الأملاك طيب ورضًا ومن الشيطان غي وأثام

\* \* \*

ومن الخمرة سكرها إذا أسلست في النفس أو طاش الزمام  
ومن القوت غذاء، ومن الـ ماء ري، ومن الجوع هيام

\* \* \*

فيك من أرضك حظ وافر وحظوظ من سماء لا ترام  
أجديد؟ إي نعم. قال الصبا أقديم؟ إي نعم. قال الوسام

\* \* \*

هذه الروعة هل تجمعها في مدى يوم لحوم وعظام؟  
لا وربّي! بل دهور غبرت قبلما تتقنها الأيدي الكرام

\* \* \*

قبلما تتقنها الأيدي التي نسقت أنوالها، وهي حطام  
من وراء اللب صفاً ينتهي بعد صف، بين سدي<sup>٢</sup> ولحام

\* \* \*

<sup>٢</sup> السدي من الثوب: ما مُدَّ من خيوطه.

## غزل ومناجاة

فيك من هندسة علوية      ما استدار الخط فيه واستقام  
ومن الفن مثال بانخ      هو للمثال والشادي إمام

\* \* \*

فيك مني ومن الناس ومن      كل موجود وموعد تؤأم  
كيف بي أعذل إن أغنيتني      أنت حتى عن شرابي والطعام  
إن نفوني اليوم من دنياهم      وأباحوا لي من الزاد المرام  
ثم قالوا: ما تشأ منها فخذ!      قلت هذا، وعلى الدنيا السلام

\* \* \*

قلت هذا، وتقدمت إلى      هوة الغيب، وفي الثغر ابتسام  
كيف لا يبسم من قبلته      تنظم الأوطار طراً في نظام؟!

\* \* \*

وإذا قبلته مستضحجاً      في تخوم الكون، والكون سدام<sup>٣</sup>  
فهي سخري بالذي ودعته      واغتباطي بمقامي حيث قام

## نصرة في الشتاء

يا نصرة في الشتاء أبصرها      أبهج من كل منظر نصير  
كأنها والعيون تنهبها      والنفس تروى بحسنها العطر  
ألف ربيع للعين مدخر      بل ألف حب للقلب مختصر  
يا طيب ذاك الإكسير مجتمعاً      من حسن شتى الرياض والغرير  
أضمه كله وأرشفه      في قبلة كوثرية السكر

<sup>٣</sup> سدام: بمعنى ضباب.

## الشادن المتحيل

أشهدتني مكر الثعا  
وتركتني أرمي الشبا  
لا ألقينك بعدها  
فخآن أولى باقتنا  
لب في الغزال الأكل  
ك لقيء وأكسر مغزلي  
أبدًا بفتح أعزل  
ص الشادن المتحيل

## القبلة

هي كأس من كؤوس الخالدين  
كلما أفرغتها منتشياً  
وإذا أمتعك الري بها  
قد شربناها معاً في ليلنا  
لم يشبها المزج من ماء وطين  
مُلئت من كوثر الخلد المعين<sup>٥</sup>  
بدأ الشوق إليها والحنين  
فروينا، وافترقنا ظامئين!

## حسرة متلفة

يا له من فم  
يا لشهد بها  
يا لزهر بها  
حلوة ويحها!  
حسرتي بعدها  
يا لها من شفء!  
كدت أن أرشفء  
كدت أن أقطفء  
غضة مرهفء  
حسرة متلفء

<sup>٤</sup> اللقى: الشيء الملقى والمطروح.

<sup>٥</sup> الماء الجاري في سهولة.

## الجملة والتفصيل

جُمِعَتْ محاسن في صباح تفرقت  
في صنعة الخلاق أي تفرق  
في الشمس، أو في الروض، أو في الطير أو  
في الجدول المترقرق  
فإذا نعمت بها لديك فحبذا  
نعماي في ظل الجمال الريق  
وإذا ضننت بها رجعت أرودها  
في حينما افترقت، ولما نلتق

## راووق النور

لا أرى الدنيا على نور الضحى  
هي كالراووق للنور فلا  
حبذا الدنيا على نور العيون  
صفو إلا صفوها العذب المصون

## النظرات تلتقي

نظرات العين في العين  
تلك أحلى ما حلمت به  
جمعت أشواق نفسيين  
من نعيم في الحياتين

## الجسم الضاحك

ثغرك الضاحك، لا بل  
لا بل الدنيا التي تو  
هكذا فليبسم البا  
أو فينسى البشر حتى  
لا يُلام العابسُ اليا  
وجهك الضاحك، لا بل كل جسمك  
مض نورًا حول نجمك  
سمُ إن شاء كبسمك  
ينقل البشر، بلثمك  
ئسُ إلا بعد لومك

## إلى الغرق

دعتك العرائس في بحرها  
إلى الماء! لا بل إلى السابح  
فليس على البحر إلا غريقٌ  
سواحره احتشدت كلها  
ففيمّ الوقوف على الساحلِ؟  
نَ، لا بل إلى الغرق العاجلِ  
وإن لم يكن فيه بالنازلِ!  
علينا. فيا ويح للغافلِ

## لست بلحم ودم

رائعٌ يخطر في مشيته  
لم يرُعني حينما أبصرتهُ  
ما قضيت العمر إلا حالماً  
أنت وَهْمٌ لم تزل في خاطري  
خطرة الطَّيف لمن لم ينم  
حلمًا تم تمام الحلم  
كيف بالروعة من ذي قدم  
لست يا صاحُ بلحم ودم

## مائدة

مائدة أسرف في طهيها  
أكرمنا الطاهي بها ساعة  
حسن وأنس وحياء معاً  
مدت لنا طوعاً فما عذرنا  
عشرين عاماً عبقرى الزمانُ  
فكيف بالمكرم يلقي الهوانُ  
وظلعة البدر ونفح الجنانُ  
إذا تركنا لقمة في الخوان<sup>٦</sup>

<sup>٦</sup> الخوان: ما يُوضَع عليه الطعام.

## يوم مزيف

لك وجه كأنه طابع الصدِّ  
إن يوماً يمر بي لا أراه  
قِ على صفحة الزمان المأوفِ<sup>٧</sup>  
هو يوم أعده في الزيوفِ

## سعادة في قمقم

هنا قمقم سابح في الدمِ  
جهلت خباياه حتى أتى  
ففيه كما قيل مسجونة  
تجن جنوناً بنور الضحى  
وقد زعموا أن إطلاقها  
بسر على شفتي فاتن  
فهل أنت مطلقها منعماً  
وما أنا بالمشتهي قبلة  
ولكنما أنا أبكي أسى  
أسائل عنه، ولم أعلم  
عريف الطلاسم بالمعجمِ<sup>٨</sup>  
سعادة بعض بني آدم  
وتدبل في حبسها المظلم  
رهين بهمسة ذاك الفمِ  
يُباح إلى شفتي مغرم  
فديتك، أم لست بالمنعمِ  
ولا بالحريص على مغنم  
لتلك الشهيدة في القمقمِ

## خير ما فيهن

غفر الذنب من بكائي عليكِ  
لا يساوي — وقد تعلمت منكِ —  
أنني لا أعود ما عشت أبكي  
نسل حوائكن دمة شكِّ  
خير ما في النساء ساعة ضحكِ

<sup>٧</sup> المأوف: المصاب بأفة.

<sup>٨</sup> المعجم الكتاب الذي يفسر الغريب والمشكل.

## زهرة لا تذبل

في الصيف يزكو عند مس السمومُ      أجل، ويزكو عند مس الشتاء  
خدك هذا أي نبت يدومُ      ريان في كل أوان سواء؟  
يا ويلتا من نبت هذي الكرومُ      فالجوع موصول بذاك النماء  
وهل ترانا كل يوم نصومُ؟

## ليلة البدر

هاتِ لي الذكرى وجدد ما مضى،      عندك الذكرى ورُجعاها معا  
هاتِ ما كان كما كان انقضى،      أو فجدد غيره مبتدعا  
ليلة البدر، وقد كان الرضى      موعده الأهرام نبغي مطلععا  
فقضى الله سواه غرضاً

\* \* \*

قد نوينا ونوى الغيب لنا      نية أمتع للمستمع  
خسف البدر وأمسيت أنا      أدعي من نشوة ما أدعي  
كلما ناديتني هيا بنا!      قلت: هيا! وأنا في موضعي  
السنا عندي فما لي والسنا؟!

\* \* \*

خُسِفَ البدر وما كان الخسوفُ      شيمة البدر الذي بين يدي  
نُشِرَ الناس وطافوا بالدقوفُ      وأنا والبدر في نشر وطبي  
خُلِّ من شاء كما شاء يطوفُ      إن بدري طالع منه إلي  
لا أحب البدر ترعاه الألوْفُ

\* \* \*

يا سمير الليل يا نَعَمَ السميرُ      ما لنا والصبح ما دمت أراك  
أنا في نور وروض وعبيرُ      حينما ألقاك لا ألقى سواك

غزل ومناجاة

رشفة من ثغرك العذب النضيرُ      أو من الكأس احتوتها شفتاك  
وسلام أيها الكون المنيرُ!

\* \* \*

هاتِ لي من فيك أنفاس الغرامِ      أو فقل إن شئت أنفاس الحياة  
واسقني الخمرة من أعذب جامٍ      لا من البلور في أيدي السقاة  
ثغرك الضاحك كأس ومدامٍ      ونديم لي، وراوٍ في الرواة  
ينشد الشعر فيشجيني الكلامُ

\* \* \*

ينشد الشعر جديدًا كالصبا      وأنا ناظمه منذ سنينُ  
بث فيه من صباه عجباً      فإذا قلت ارتجال لا تمينُ  
هاتِ لي الحسن وهاتِ الأدبا      واسقني الخمر من الثغر المبينُ  
ذاك حسبي في زمني مطلباً!

## أشعب الأهواء

كلما أمسيتُ في وكري      قلت: يأتي! كيف؟ لا أدري  
أمل غطى على فكري      فهو ذنبي فيك أو عذري

\* \* \*

لم تزرني غير مصطحبٍ      كيف أرجو قرية القربِ؟  
أشعب الأهواء غرر بي      فرجوت الصدق في الكذبِ

## حجاج وروما

أل روما لكم منَّا الولاء  
وسلام كلما ضاء لنا  
في حماكم كعبة ترمقها  
كعبة لا كالتى يعمرها  
من حياة هي لا من بنية  
كرمت روما وذكرها بها  
نزلت ثم حجيجًا داعيًا  
وهي أولى بحجيج ودعاء

\* \* \*

قبلتي يا «حُسْن» من ذاك الحمى  
ورجائي اليوم في مغربها  
سلمت روما التي أنت بها  
وكساها لك نساج الربى  
وجلاها لك من يجلو لنا  
والذي أولاك من أنعمه  
ليت شعري كيف ألفت بها  
أترين اليوم فيها عجبًا  
وبنو الرومان هل هم بدعة  
أحسب الأيام بحرًا واحدًا،  
من ير النفس من الباطن لا  
من ير الفن خيالًا فله

أنت لا القبلة من ذاك البناء  
وجهك الباسم لا وجه نكاء<sup>٩</sup>  
وسرى يُمنًا بها ساري القضاء  
كل يوم زينة شتى النماء  
بشعاع منك آفاق الرجاء  
بهجة النورين: حسن وذكاء  
سيرة العصر وذكرى القدماء  
أم قديمًا كل يوم في رداء؟  
أو هم الناس رياءً في رياء؟  
ما اختلاف الموج فيه والهواء؟  
يحفل الظاهر في الدور القواء<sup>١١</sup>  
بالرؤى<sup>١٢</sup> عن نظرة العين غناء

<sup>٩</sup> الحنيف: المتمسك بالدين.

<sup>١٠</sup> اسم من أسماء الشمس.

<sup>١١</sup> الخراب والفقر.

<sup>١٢</sup> جمع رؤيا وهي الحلم، والمعنى أن الذي يدرك جمال الفن بخياله لخلق أن يشعر بمتعة الفن دون حاجة إلى الصور التي تمثله للعين.

بيد أن النفس من عاداتها      تخلق الأشباح في كل فضاء  
وتحب الظل حيناً والصدى،      وأصول الظل فيها والغناء<sup>١٣</sup>

\* \* \*

أنت في روما وفي مصر أنا      بعدت شقتنا لولا النجاء<sup>١٤</sup>  
بيننا جيرة نور ساطع      فوق رأسينا، ونور في الخفاء  
أرقب البدر إذا الليل سجا      فلنا فيه على البعد لقاء  
وأورد الشعر في مثل الكرى      فإذا فيه من الطيف عزاء<sup>١٥</sup>  
حلم الصادي<sup>١٦</sup> فمن يوقظه      وعلى فيه من الماء شفاء  
أنت يا «حُسْنُ». وهل أنت سوى      حلم في يقظة القلب أضاء؟!<sup>١٧</sup>

### الأزاهير الأدمية

الأزاهير في الشجر      لا اختلاف ولا صُورَ  
والأزاهير في الغرر<sup>١٧</sup>      حيرة القلب والبصرَ  
بينها الزهر والثمر      بينها الشمس والقمرَ  
بينها التبر والدرر      والمصاييح والشررَ  
عين يا عين لا نظر!      ها هنا! ها هنا الخطرَ

<sup>١٣</sup> المعنى هنا استدراك على البيت السابق، فحواه أن النفس تعودت إذا هي شعرت بالعاطفة أن ترى لها ظلًا مصورًا وتسمع لها صدًى مترددًا، ولا يغنيها عن الظل والصدى أنها هي تشتمل على أصول هذه الظلال والأصداء، وهي العواطف.

<sup>١٤</sup> النجاء: هو المناجاة أو المسارة.

<sup>١٥</sup> الشعر يستحضر الأطياف كما تستحضرها الأحلام، فالشعر من هنا شبيه بالكرى.

<sup>١٦</sup> الظمان.

<sup>١٧</sup> جمع غرة، وهي الطلعة والوجه.

## عيد ميلاد

كان الأقدمون يحتفلون بانتقال الشمس في الموعد الذي اختاره المسيحيون لإحياء مولد السيد المسيح بعد ذلك، وكلا هذين الموعدين يوافقان يوم الميلاد المعني في القصيدة التالية:

أقبلت والشمس والمسيحُ في مولد واحد، سواءً  
في وجهك المشرق الصبيحُ هداية الحق والضياء

\* \* \*

تهيأ الكون من قديمٍ ليوم ميلادك السعيد  
فعابد الكوكب العظيمِ أحيا ببشراك يوم عيد  
ومولد «السيد» الرحيمِ وافقه المولد الجديد  
يوم تهدي على المديحِ وزفه الخلد بالثناء  
فالدهر في عمره الفسيحِ عوده البشر والدعاء

\* \* \*

النور والحسن واليقينُ تحتفل اليوم في مكان  
إحدى وعشرين من سنينُ قد تم في أوجها القرانُ  
ثالوثكم تم بعد حينُ فليمض ما شاء في أمان  
وليتهتف المنشد الفصيحُ بالحمد في العيد والغناء  
كلاهما مغنم ربيحُ لعاشق الأرض والسماء

## لو كان إلهاً

قال الشاعر الفرنسي «دوجيرل» لحبيته:

لو كنت إلهاً لأعطيتك الأرض والهواء وما على الأرض من بحار، ولأعطيتك  
الملائك والشياطين الحانية بين يدي قدرتي وقضائي، ولأعطيتك الهيولى وما في

أحشائها من رحم خصيب، بل لأعطيتك الأبد والفضاء والسموات والعالمين؛  
ابتغاء قبلة واحدة.

وسُئِلَ صاحب هذا الديوان: «وماذا تعطيني أنت لو كنت إلها؟»  
فقال:

أعطيك؟! كيف وما العطاء بخير ما  
بل لو غدوتُ كما اشتهيتِ وأشتهي  
فترين أنك حين فزتِ بخطوتي  
وتسيطرين على الصروف، وفوقها  
إن كان رب الكون عندك قلبُهُ  
وبكل شمس في السماء وضيئة

تبدي القلوب من الغرام الصادق؟!  
ربًا، أخذتكِ أنتِ أخذ الوثائقِ  
أحلى وأكمل من جميع خلائقي  
نبضات قلبي المستهام الوامقِ  
أهونُ لديك بأنجم وصواعقِ  
وبكل بحر في البسيطة دافق!

### حرمان أو عطاء؟

مائدة كم بت أشتاقها  
أرحتني منها، فقد عففتها  
فيا زمانًا جاد لي منعماً  
إن تطلب الشكر على راحتي

ألقيت في صفحتها بالذبابُ  
فليس فيها مورد مستطابُ  
بالضن، أو أسعدني بالعذابُ  
ما أجدر اللوم بذاك المصابُ!

### أيعشقون؟

أيعشق الناس يا حبيبي؟  
إن لم يحبوك يا حبيبي  
ما الحب لولا هواك إلا  
أحبيتُ حتى حسبت غيري

هيهات! بل تكذب العيونُ  
واعجبًا! كيف يعشقونُ  
رجم الأساطير والظنونُ  
إن ذكروا الحب يقتدونُ

## معرفة متأخرة

بعد سبع من السنين وعشر  
عرفوا أي نعمة زارت الأُرَّ  
عرفوه لما رأوا بينهم شمـ  
عجبوا كيف فاتهم يوم وافى  
ذاك ميلادك السعيد هنيئًا  
عرف الناس فضل ذا الميلادِ  
ضَّ بأضعاف حسنها المرتادِ  
سًا مع الشمس أشرقَتْ في البلادِ  
فرعَوْا عهده بذكر معادِ  
للذي فاز فيه بالإسعادِ

## ماذا عليه؟

ماذا عليه إذا استوى  
هذا القوام جماله  
أنى تمايل عطفه  
أشتاق بعض نفاره  
وإذا التوى ماذا عليه  
مهما تعسف، في يديه!  
مالت جوانحنا إليه  
شغفًا برؤية صفحتيه

## ملتقى الربيع

هاتِ الربيع الغض لي كله  
إن فاتني جمع أزهيره  
في روضة، بل طلعة، بل شفَّه  
في قطفة، فالرأي أن أرشفَّه

## نبضات جديدة

خفقات تلك من وزن جديد  
ذلك الوجه، وما العهد بعيدًا  
أيها القلب! فأسمعني صدائِ  
أنت تهواه فلا تنكر هواك

\*\*\*

أنت تهواه وتسعى بي هنا  
لا تراوغني وقل هيا بنا  
كل يوم بعد يوم كي تراه  
في صريح القول، نستجلي سناه

## غزل ومناجاة

\* \* \*

تحسب الرقة فيه ألمًا      فإذا أنت من الوجد تذوبُ  
لا يكون الحب إلا هكذا      أنا لا أجهل أسرار القلوبُ

\* \* \*

كاصفرار الشمس في ثوب الغروبِ      واصفرار العاج في ثوب القدمِ  
ذلك اللون نسميه الشحوبُ      وهو في الحسن شفيع للسقمِ

\* \* \*

رحمة للقلب من ذاك الوجيهِ      صيغ من ذُوبِي حنان وحنينُ  
كلما رفرفت بالعين عليهِ      شبه الفرحان عندي بالحزينُ  
إن أشأ قلت خيال في الكرى      أو أشأ قلت عيان لا خيالُ  
جمع الأمران لي فيما أرى      حين صح الحلم في خير مثالُ

## سنة جديدة

أدركنا موكب السنينُ      في موكب الحب سائرينُ  
والحب من يغش ركبهُ      يساير النجم كل حينُ  
راجع حساب السنين يا      نجم، فما نحن حاسبينُ  
أبالألوف احتسبتّها؟      أم لم تزل تجمع المئين؟!

\* \* \*

يا سنة أقبلت لنا،      أقبلت ميمونة الجبينُ  
وداعنا فليكن غدًا      كما التقينا ... أتسمعين؟  
في موكب الحب نلتقي      وفيه نمضي مودعينُ



## قوميات واجتماعيات

إلى المحسنين

ألقيت هذه القصيدة في الاحتفال السنوي الذي أقامته جماعة الإحسان بطنطا في سنة ١٩٣٠:

يا جيرة الإحسان والمحسنين  
من يسمع الملهوف حق له  
من عين شمس جئتكم ناهلاً  
لا بل يراها كل قلب رأى  
يا حسنهما من نير مرشد  
في حيرة اليأس بنور اليقين

\* \* \*

حييت في محفلكم إخوة  
مريمكم أخت لعيساكم  
تعددت أديان قصادكم  
كونوا لمن ليس له شافع  
للطفل، من للطفل في ضعفه؟  
هما رضيعا رحمة ثديها  
لا خير في الدنيا ولا أمنها  
كلاهما عنوان ما عندنا  
بناتها في الخير صنو البنين  
وكلكم أمانة أو أمين  
وما لكم في برهم غير دين  
في هذه الدنيا ولا من معين  
للشيخ، من للشيخ حاني الجبين؟  
لا يفطم الأبناء فطم السنين  
إن لم يكن هذان في الأمنين  
من نصرة للعيش أو للمنون

\* \* \*

أقوى بني الإنسان في بأسه  
من يصرع الجبار دون الذي  
ذاك العدو المستطير الأذى  
هيا اصرعوه صرعة من يد  
فالمجد في تجفيف دمع جرى  
من يرحم الضعف ويأسو الحزين  
يصرع جبار الشقاء المكين  
في حاضر العهد وماضي القرون  
رقيقة المس و صدر حنون  
لا في دم تجريه حرب زبوناً<sup>١</sup>

\* \* \*

يا غارسي الإحسان في «طننتا»  
دوحتكم في أرضها أثمرت  
ظل ظليل، وجني رحمة  
أحسنتم بدءاً وأحسنتم  
وكان منكم كل خير لها  
ما خصبكم فيها بماء وطين  
ما تثمر الجنة للمتقين  
ريان يؤتي أكله كل حين  
عوذاً، وعقبى الصبر للمحسنين  
وحبذا من بعده ما يكون

### إلى غاندي يوم إفطاره

غاندي لك النصر المبين على المدى  
لم ألقَ قبلك من يحرر قومه  
بالجوع والحرمان تصلح أمة  
خذ من قرارة دائهم لدوائهم  
ومن العجائب أن يُقدَّس بينهم  
عكسوا الأمور فكان عكس أمورهم  
ولشائئك الخسر والخذلان  
وهو السجين الجائع العريان  
أخنى عليها الجوع والحرمان  
بعض السقام من السقام ضمان  
بقر السوام ويُلَعَن الإنسان  
بعض الجزاء، ومن أهان يُهان

<sup>١</sup> الحرب الزبون: الشديدة التي يدفع بعضها بعضاً من الكثرة.

فاشفع لنقص القوم عند كمالهم فكذاك تغفر ذنبها الأوطان<sup>٢</sup>

## عيد الاستقلال السوري

ألقيت هذه القصيدة في احتفال أقامه إخواننا السوريون لذكرى عيد الاستقلال في سنة ١٩٣٠:

ربع الشأم أعامر أم خالٍ  
إني لأرجع بالسؤال أطيله  
سكتوا وأقفرت المنازل منهم  
بُوركت من وطن يجل شهيده  
وطن تضيق الأرض عن أبنائه  
يستبدلون الخافقين بيضعة  
ذهبوا بأفئدة تفرق شملها  
اليوم عيدك عيد الاستقلال  
لو يملك الشهداء رجع سؤالي  
إلا منازل من صوى<sup>٣</sup> ورمالٍ  
في حيثما ألقى عصا الترحالٍ  
وإليه موئلهم مع الآمالٍ  
منه، وما قنعوا بالاستبدالٍ  
شيعةً، وما فيهم فؤاد سالٍ

\* \* \*

يرتاد راحلهم وخلف ركابه  
يصحو على «الشاغور» من لبنائه  
وتهزه من «عشتروت»<sup>٤</sup> خميلة  
وتليه من وادي العرائش نسمة  
أنى استقر وحيث سار هفا به  
أين السلو؟ ولا سلو لعابر  
حلم يببيت به مع الحلالٍ  
وينام من «بردى» على السلسالٍ  
تلطف بين جداول ودوالٍ  
سكرى الضحى رفاة الأصالٍ  
همس من الجيل الأشم العالي  
فيه، فكيف بمولد وفصالٍ

<sup>٢</sup> الأوطان تكفر بحسناتها عن سيئاتها، وما دام للوطن حسنة فله أن يطمع في غفران سيئة. أما الوطن الذي لا غفران له فهو الوطن الذي لا تقرن فيه السيئات بحسنات تعدها أو تربو عليها.  
<sup>٣</sup> الصوى: القبور والحجارة التي تُتخذ دليلاً على الطريق.  
<sup>٤</sup> هي قرية شتورة الحديثة فيما يقال.

\* \* \*

هذي مواطنكم وتلك قلوبكم  
ما في المدامع من شعار كنيسة  
فيمَ اختلاف مصفدين تضمهم  
أمنازعون على السماء وأرضكم  
كونوا - ولا نصح لجيل نبوة -  
من بعلبك خذوا المثال لرأيكم  
فيها لموسى والمسيح وأحمد

\* \* \*

أنتم بنو ماضٍ على أحزانه  
ماضٍ بأمثال التجارب حافل  
لا تلهينكم الهموم بحاضر  
إن الحقائق في الحياة تجمعت  
بيتوا على أمل وطيب تذكر  
لا يستقل القوم في آمالهم

\* \* \*

يا جيرة الوادي تحية أمة  
لو بيّن الوادي القديم لقالها  
إنا بنو وطن تقرب بينه  
الشمس تجمع في المطالع بيننا  
ومعالم التاريخ في كتب وفي

<sup>٥</sup> اشتبكت.

<sup>٦</sup> الحاضر ملك لمن كان له أمل قوي في المستقبل وذكرى وثيقة للماضي.

ولسان صدق في اللغات تألفت  
شكواكم شكواي، أو سلواكم  
ومطالب الغازين في بيدائكم  
فخذوا التأسى من مؤسى نفسه  
وخذوا التهاني من مهنئ نفسه  
فيه القلوب تألف الأقوالِ  
سلواي، أو أشغالكم أشغالي  
كمطالبي، ومآلكم كمآلي  
فيما يطيف بكم من الأوجالِ  
بغد يطالعكم بالاستقلالِ

### على قبر سعد

خلا قبر سعد مثلما كان بيته  
أمرُّ به في كل يوم وربما  
خلا منه حيناً ثم آواه رحبُهُ  
مررت به يوماً وفي القبر ربُّهُ

اكتفينا بما تقدم في هذا الباب، ولم ننشر فيه القصائد التي نُظمت في المناسبات  
المصرية رعاية لعهد الائتلاف.



## فكاهة

### كفاية!

عيناى ضاعفتا فى حسنك النظرا  
فأغض تيهًا كما أحببت أو خفرا  
بلاغ إلفين! فاترك لى أنا السهرا

إن تعض عيناك من تيه فلا عجب  
أنت الذى تطلب العينان رؤيته  
إنا هنا اثنان أمسينا، وفى نظري

### مفاخرة

وظفقت تنشر ريشه وتخايلُ  
وأقول، والإنصاف ما أنا قائلُ  
طوعًا، وعندي بعدُ عمر كاملُ  
ماذا تكون؟ وأنت منها عاطلُ!

أمسيت تفخر بالشباب وتزدهي!  
فالآن أجزيك الفخار بمثله  
عشرون عامك هذه ألقى بها  
فافخر، وألقِ بها كما ألقىتها

### ناسخ النور

لكن وجه الشؤم قد لاحا!  
على ثريا النور مصباحا!  
كم فاض من شؤم وكم ساحا

قد نقص النور ولم ينطفئ  
فعوضوا الدار وزيدوا بها  
وراقبوا «العداد» تحصوا به

## حديقة حيوان آدمية

هذه الحديقة لا تجمع إلا الفنان أو المحب للفنون، سُمِّي كل زميل من زملائها باسم حيوان يُلاحظ في اختياره اتفاق الشبه في الملامح والعادات. وقد جمعها الفن كما كان أورفيوس المعروف في أساطير اليونان يجمع الأحياء حين يغني ويعزف فتقبل عليه من كل فصيلة، وهي لا تشعر بخوف أو تهم بعدوان:

أورفيوس الفن سَوَّى بينها	فتلاقى الدب فيها والقروُدُ
وتغنى فرس البحر بها	يا له من فرس طلق النشيدُ!
ومشى الأرنب والحوث لها	صاحباً القاعين من لج وبيدُ
وتآخى الجدي والضبع وما	بين هذين سوى الثأر اللدودُ
وجرى «السيسي» فيها شوطه	وهو ناهيك بسيسي عنيدُ
ولغا «البطريق» <sup>١</sup> فيها لغوه	وهو من قطب جنوبي بعيدُ
وكأنى بالزرافى <sup>٢</sup> اجتمعت	وحمير الوحش منها في صعيدُ
وأوى السنور والجرو إلى	نمر فيها، على غير الوصيدِ <sup>٣</sup>
والسحفاة تجاري عندها	أرنب البيداء والكلب الصيودُ
فتحت أقفاصها واختلطت	لا سدود، لا قيود، ولا حدودُ
حيوانات نماها آدم	وهي من أبنائه نسل فريدُ
حيوانات ولكن بينها	كل ذي لب سماوي رشيدُ
أورفيوس الفن سوى بينها	فاستوى المنشد فيها والمعيدُ

<sup>١</sup> هو الطير المعروف في اللغات الإفرنجية بالبنجوين.

<sup>٢</sup> جمع زرافة.

<sup>٣</sup> الوصيد: العتبة، وفي البيت إشارة إلى الآية: ﴿وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ زِرَاعِيهِ بِالْوَصِيدِ﴾.

## معنى طازج!

ر، أو نكهة العنب الناضج  
لأنبأت عن صدقي «الطازج»!  
تنشقت من فيك عطر الثما  
فلو قلت «أطعمتني» قبله

## الحب السريع

سألت: ما بالهم قد تركوا  
قلت: هل دام غرام بينهم  
سنرى العهد الذي يروي لنا  
غزل العشاق في الشعر الجديد؟  
ريثما يُفَرِّغ من نظم القصيدة؟  
كل عشرين غراماً في نشيداً!

## زهرة القبح

من رأى زهرة الجمال فهذي  
طلعة الشؤم من رآها يخلها  
زهرة القبح أسفرت تتحدى!  
خُلِّقَتْ من وجوه سبعين قردا

## رثاء كلب

حزناً على كلبٍ طاهرٍ  
تشابها في خليقة  
وربما عيَّ طاهر  
فليس يوفيه حقه  
إلا إذا بات نابحاً  
وعوعو، عوووو. بلا وني  
فإنه طاهر الكلاب!  
واتفقا — شيمة الصحاب  
وكلبه حاضر الجواب  
من اكتئاب أو انتحاب  
نبح المساعير في الخراب  
ولا انقطاع ولا اقتضاب

<sup>٤</sup> هو الأديب محمد طاهر الجبلوي.

\* \* \*

لا تسألوا رحمة له      قد رحم الله واستجاب  
لعله مات قانطاً      من «أزمة» الأكل والشراب  
منتحراً في شبابه      وهكذا يفعل الشباب  
أراحه الله من ضنئى      أنقذه القبر من عذاب  
فليحمد الله ربه!      من جاع فليرض بالتراب

### كلب ضائع أو ديوجين الكلبى

أمست كلابك شتى      وأنت يا صاح أنتا  
كلب نجا وهو حي      وآخر فر ميتا  
ما بين تارك دنيا      وتارك لك بيتا  
قل لي بربك ماذا      على الكلاب جنيتا  
حتى «ديوجين»؟<sup>٥</sup> قل لي      يا شيخ ماذا صنعتا  
والله ما كان يابى      لو صادف الخبز بحثا  
أو جدت يوماً عليه      فصادف الأدم زيتا  
زعمته راح يهوى      من قومه الغر بنتا  
لا تلزم الحب ذنباً      من الصيام تأتى  
فاحمل رغيماً تجده      في أي صوب نظرتا  
مصباحه<sup>٦</sup> ليس يجدي      فلا تضع فيه وقتا  
أنعم به من حكيم      إلى ديوجين متا  
رأى السلامة حقاً      ومن رأى الحق أفتى

<sup>٥</sup> ديوجين الكلبى: فيلسوف يونانى. وقد سُمي الكلب باسمه لأنه كان كبير الرأس، ولأنه يمت إلى الفيلسوف بصلة الكلبية.

<sup>٦</sup> كان ديوجين الفيلسوف يحمل مصباحاً في النهار يفتش به عن رجل فلا يجده.

## حظ بصير

إذا كان حظ الناس أعمى فإن لي  
على الغيب حظاً لا يزال بصيرا  
يظل يحاشي كل خير كأنه  
يحاذر فحاً، أو يرد مغيرا



## متفرقات

### إهداء الكتاب

نظمت هذه الأبيات في إهداء كتابي عن علي بن العباس المشهور بابن الرومي إلى جراح مصر الكبير علي إبراهيم باشا:

يا جاعل الطب فنًّا	من الفنون جميلا
ويا أمينًا حفيظًا	على الحياة وكيلا
هذي حياة أديب	للفن كان رسولا
يا رب معنى نبيل	كساه لفظًا نبيلًا
كالروح تكسوه جسمًا	غض الإهاب صقيلا
علي هذا علي	يرجو لديك قبولا

### المثاني في مشروع القرش

كن قطرة من سحاب مثمر غدق	ولا تكن ذرة من رمل صحراءٍ
ولا تقل هان «قرش» أنت باذله	ما مصر؟ ما النيل؟ لولا قطرة الماءِ

\* \* \*

## وحي الأربعين

أيصول بالسيف الكمي<sup>١</sup> ونحن لا ندري الصيال بمغزل وبمنسجٍ  
بالأمس كان عقيمهم من لم يلد وأرى العقيم اليوم من لم «ينتج»

\* \* \*

الشباب اليوم يستأدبكم درهماً فرداً فأدوه الحسابُ  
إن مصرًا كلها في غدها هي ميراث مصون للشبابِ

\* \* \*

كن صانعًا أو لا فلست بصانع شيئًا ولست بدافع من يعتدي  
وابذل زهيدك للصناعة تجتمع لبني بلادك ثروة لم تزهدِ

\* \* \*

أوجه ذي الوجهين في الوجودِ قرش عديد من أب وحيدي  
قوته للوطن المعمودِ أقوى من العدة والعديدِ

\* \* \*

أرى القرش أصبح ذا قيمة وإن صغروه وإن حقرُوهُ  
يتيه بوجهين من حسنه وتأتي منافعه من وجُوهُ

## الشهرة العوراء

دع الشهرة العوراء تقتاد غافلًا على حكمها يجري، وإن طاش أو ظلمُ  
إذا الدهر لم يعرف لذي الحق حقه فللدهر مني موطنُ النعل والقدمُ  
إذا جاز بيع الذُكر في شرع أمة فلا كان من ذكر ولا كانت الأممُ

<sup>١</sup> الكمي: لابس السلاح أو الشجاع.

## عتاب وطن

جوزيت من وطن يبكي الوفي به      وما بكى خائن فيه وإن جارا  
لقد شقيتَ على كره وموجدة<sup>٢</sup>      وهان ذلك لو لم تشقَ مختارا

## نعي كاذب

لقد كذب الناعي وأنعم بكذبه      فلا صدق الناعون يوماً، ولا همُّوا  
فزعَت الخطب الموت، والموت واحد      فكيف احتمالي فيك موتين يا أمُّ

## إلى الصديق الراحل

نظمت في رثاء الكاتب الكبير «محمد السباعي» يوم وفاته:

غاية الحي ساعة من زمانه      ينتهي عندها مدى جثمانه  
طُوِيَتْ صفحة السباعي فينا      وهو طاوي الطروس في تبيانهِ  
مسمح النفس في الحياة تولى      مسمح النفس في الردى قبل أَنه  
لم يطامن لصرعة الموت رأساً      من صراع الحياة لهو رهانهِ<sup>٣</sup>  
ذاقها صابراً وساغ مريراً      من جني دهره ومن إنسانهِ  
وتأسى، ومثله من تأسى،      ضاحكاً من كرامه وهجانهِ  
فتنته غواية الأدب الحرُّ      ر فأودى بقلبه في افتنانهِ

<sup>٢</sup> الموجدة: الغيظ والألم. والمعنى: إن الشقاء الذي يصيب الوطن كرهاً وقسراً قد يهون في جانب الشقاء الذي يجنيه الوطن على نفسه.

<sup>٣</sup> كان الفقيد يلهو بالرياضة البدنية كثيراً، وكانت سيرته حافلة باحتمال الشدائد في سبيل حرية نفسه ومطالب عيشه.

وثنى راحتيه عن خفض عيش  
ما أراه على الحياة حزيناً  
يا سليم الفؤاد في باطن الرأ  
مرض الدهر فامض عنه معافى  
أنت خدن الكتاب، والموت سفر  
كان حيناً أقصى منى أقرانه؛  
بعض حزن الصحاب يوم احتجانه°  
ي سليم الفؤاد في إعلانه  
من أكاذيبه ومن أدراينه  
صدقه ظاهر على عنوانه

### على قبر حافظ يوم وفاته

أبكاء وحافظ في مكان؟  
كنت أنساً، فكيف أمسيت يا حا  
كنت تتلو الرثاء معنى فمعنى،  
كنت أعلى الجموع صوتاً فهلا  
وعزيز على بلادك أن تذ  
يوم أطلقت من إسارك حرّاً  
يوم أرسلتها على ظالمي الأُو  
أهم الله مصر فيك عزاءً  
كلنا صائر كما صرت يوماً  
تلك إحدى طوارق الحدثان  
فظ تدمى لذكرك العينان  
كيف أمسيت بعض تلك المعاني!  
نطق الآن صوت ذاك البيان  
هب يوم انبريت للميدان  
وأبيت الإسار للأوطان  
طان طعانة كحد السنان  
لا بل العرب في شفيح «اللسان»  
والذي قد صنعت ليس بفان

### على ضريح سعد يوم الخروج من السجن

إلى الزاهب الباقي زهاب مجدد  
إلى مرجع الأحرار في الشرق كله  
وعند ثرى سعد مثاب ومسجد  
إلى قبلة فيها الإمام موسد

° كانت وظيفة الحكومة أقصى ما يطمح إليه الشبان ولا سيما في الجيل الماضي. ولكن السباعي رحمه الله كان من أوائل الشبان الذين اجترأوا على ترك الوظيفة لخدمة الأدب.  
° احتج الشبيء: جذبه بالمحجن، أو ضمّه واحتواه.

نحيي من الدنيا التي نستعيدها  
 مكاناً من الدنيا يخلو قفرها  
 خرجت له أسعى وفي كل خطوة  
 لأول من فك الخطى من قيودها  
 بواكير من حرية أستزيدها  
 وأعظم بها حرية زيدَ قدرها  
 عرفت لها الحبين في النفس والحمى  
 وكنت جنين السجن تسعة أشهر  
 ففي كل يوم يُولد المرء ذو الحجى  
 وما أقعدت لي ظلمة السجن عزمة  
 وما غيبتني ظلمة السجن عن سني  
 عدااتي وصحبي لا اختلاف عليهما  
 مكاناً من الدنيا له العود أحمدُ  
 وقد قل في أمصارها ما يُخلدُ  
 دعاء يؤدّي أو ولاء يؤكّدُ  
 أوائل خطوي يوم لا يتقيدُ  
 لديه، وقد يرمى البواكير معبداً<sup>٦</sup>  
 لدن فُقدت، أو قيل في السجن تُفقدُ  
 وكان لها حب — وإن جل — مفردُ  
 فهأنذا في ساحة الخلد أولدُ  
 وفي كل يوم ذو الجهالة يُلحدُ  
 فما كل ليل حين يغشاك مرقدُ  
 من الرأي يتلو فرقداً منه فرقدُ<sup>٧</sup>  
 سيعهدني كل كما كان يُعهدُ

## وحي الأربعين

سميت هذا الجزء «بوحي الأربعين»؛ لأن أكثره نُظِم حوالي سن الأربعين، وقد كنت جمعت الأجزاء الأربعة الأولى من الديوان، ولاحظت في تسميتها أن يقابل كل جزء منها السن التي نُظِم فيها، فبدأت فيها بيقظة الصباح وانتهيت بأشجان الليل، وفي تسمية هذا الجزء «بوحي الأربعين» متابعة للسنة التي جريت عليها حين جمعت تلك الأجزاء.

<sup>٦</sup> إشارة إلى عادة الأقدمين حين كانوا يضعون بواكير الثمار والحبوب في المعابد؛ تيمناً واستزادة من الخير والنماء.

<sup>٧</sup> نجم قريب من القطب يُهتدى به.